

جامعة عمّار ثليجي بالأغواط  
كلية العلوم الإنسانية والاسلامية والحضارة  
قسم العلوم الإسلامية



العنوان:

# مقاصد الابتلاء بالضرّ في القرآن الكريم

مفكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية L . M . D  
تخصّص فقه وأصوله

إشراف الأستاذ الدكتور:

- مصطفى بن حبيب شريقن

إعداد الطّالب:

- أبو بكر موسلمان

السنة الجامعية: 1437 - 1438 هـ / 2016 - 2017م

جامعة عمّار ثليجي بالأغواط  
كلية العلوم الإنسانية والاسلامية والحضارة

قسم العلوم الإسلامية



العنوان:

# مقاصد الابتلاء بالضرّ في القرآن الكريم

- دراسة مقاصدية استقرائية -

مفكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية L . M . D

تخصّص فقه وأصوله

إشراف الأستاذ الدكتور:

إعداد الطّالب:

- مصطفى بن حبيب شريقن

- أبو بكر موسلمان

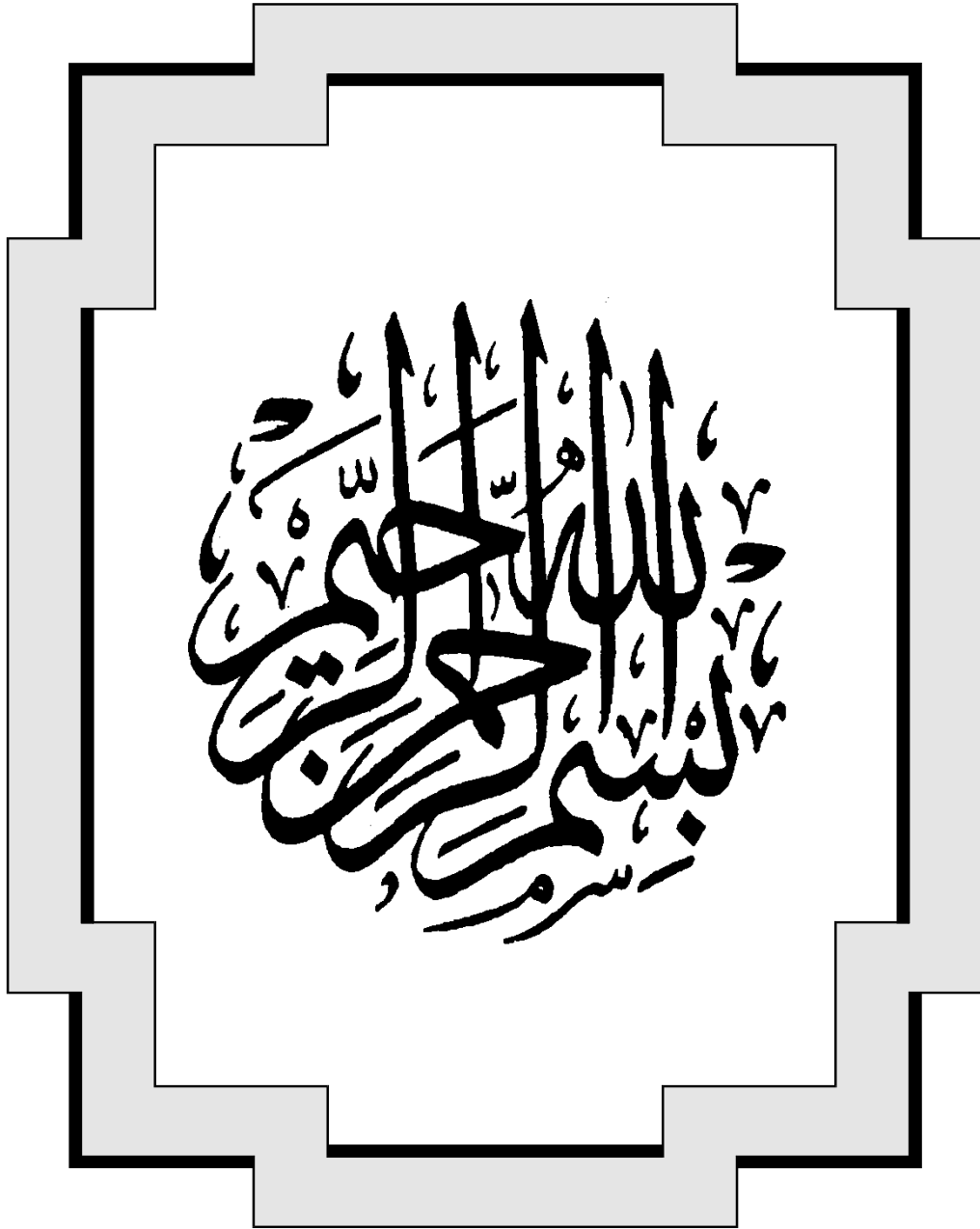
السنة الجامعية: 1437 - 1438 هـ / 2016 - 2017 م

جامعة عمّار ثليجي بالأغواط  
كلية العلوم الإنسانيّة والاسلامية والحضارة  
قسم العلوم الإسلاميّة

مفكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلاميّة L . M . D  
تفصّص فقه وأصوله

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع	الاسم	اللجنة
	الدكتورة حبيبة شهرة	الرئيس
	الدكتور علي عدلاوي	المناقش
	الأستاذ الدكتور: مصطفى بن حبيب شريقن	المشرف



قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم:

"عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ  
ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ  
فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَتْ  
خَيْرًا لَهُ".

رواهُ مُسْلِمٌ.

# إهداء

إلى والدي العزيز

إلى الأُمّين الكريمتين

إلى زوجتي الوفية

إلى أبنائي قرة عيني

إلى العائلة جميعا

إلى كل الأصدقاء

إلى كل مريض يعاني، أو مصاب...

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع.

أتقدم بشكري الخالص وامتناني العميق إلى أستاذي  
المشرف: أ.د. مصطفى حبيب شريقن، الذي أرشدني ومنحني من  
وقته من أجل إثراء هذا العمل.

وأقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين جهدوا  
في قراءة هذه المذكرة من أجل تقويمها وثنيمها، وإلى جميع أساتذتي  
الذين منحوني من وقتهم وعلمهم.

كما أتقدم بتشكراتي الخالصة إلى كل من ساعدني من قريب  
أو بعيد لإتمام هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور نور  
الدين صغيري، وأخي مسعود نقموش الذي كان معي من أول كلمة  
في البحث إلى تمامه.

# المقدمة

## المقدمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا أشرف خلق الله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

لقد صار من المتيقن عندي أنّ الضرّ عامة، والمرض خاصة جند من جنود الله، كالغيث والريح، يرفع الله به الدرجات، ويحط به الخطايا، رسول من عنده إلى خلقه، يقيم به الحجة، ويرفع به العذر، ينذر به العصاة، ويمحق به الطغاة، ويحقّق به القصاص، ويبسط به عدالته بين خلقه.

فكل إنسان على البسيطة معرّض للإصابة بأنواع الضرّ، وكثير من التساؤلات التي تطرحها نفسية المصاب، أو من شغله أمر المصاب، فإن كان من السباحين في بحر القرآن يجد من الكنوز واللآلئ المكنونة ما يتلج صدره، ويريح عقله، وإن لم يكن كذلك يغرق في سؤال لماذا، يتجرع المرار.

وقد حاولت في هذا البحث جمع تلك الكنوز، القرآنية التي تتحدث عن الابتلاء بالضرّ، ثم تصنيفها مقيدا نفسي بالتأصيل والتبسيط علني أنتفع بها أو ينتفع بها حيارى القلوب، ولربما قد يجد موقعه في هذا التصنيف.

أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ومقبولا عنده، وأسأله المغفرة لجرأتي في الحديث عن حكمته، وأطلب العفو عن الزلل فإن ذلك من طبيعتي البشرية.

### الباعث على اختيار الموضوع:

كثيرا ما ألتقى بمريض أو والد مريض عاكفا على معاناة يومية غارقا في تساؤلات متوالية لا تكاد تهدأ.

ثم لا يجد مني إلا الصمت الرهيب، لأنني إذا حدّثته فكلامي مستهلك عنده، خلاصته حتّ على الصبر، وتذكير بالأجر، فهو حافظ له معيد.

وهكذا يتم اختزال أنفع رسائل الخالق إلى خلقه .

فإذا كان ممن له باع في تدبر آيات الله المنظور منها والمسطور، فإنّه قد يجد ما يشفي غليله، وإلا وقع في شرك الشيطان الذي يتربص به.

وإذ لا أستطيع الإفصاح والتفصيل للمريض في هذه المسألة، لما في الأمر من خصوصيات لا يستطيع البوح بها، رأيت تفصيل ذلك في بحث علمي أحاول فيه الإجابة عن هذه التساؤلات، من خلال النصوص الشرعية، وبعض أقوال العلماء رحمهم الله.

وذلك بالتركيز على واعظ بليغ، ومنبّه خطير في حياة الإنسانية على العموم، والمؤمنين منهم على الخصوص: إنه الابتلاء بالضرّ والمرض. محاولاً إبراز أسرارها، والكشف عن خفي مقاصدها، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

### أهداف البحث:

وبناء على ما سلف فإني أتوخى من هذا البحث الأهداف الآتية:

1. إظهار مقاصد الابتلاء بالضرّ الواردة في القرآن.
2. الإجابة على بعض التساؤلات التي يطرحها المصاب بالضرّ، وخاصة المصاب بالمرض، والتي لا نجد لها جواباً شافياً إلا في القرآن.
3. التنبيه إلى الرسائل العظيمة والنافعة التي يحملها الضرّ إلى الناس أجمعين، ومن أهمها:
  - رسالة اقتصاص من الظلمة والمجرمين.
  - في الضرّ خير كثير، ورحمة كبيرة من الله، (تثبت الأبرار، وتنبّه الفجار).
4. الخلوص إلى دليل منهجي للتعامل الوجداني مع الضرّ ومع المرض خاصة.

### الدراسات السابقة:

موضوع الابتلاء له أصول في القرآن الكريم. وكثير من العلماء قد كتب فيه، ونجد مادة هذا الموضوع متفرقة في كتب العلماء قديماً وبالخصوص في كتب التفسير، وقد يُفردا أحدهم في كتاب خاص، وأذكر كنموذج لذلك كتاب شفاء العليل للإمام ابن القيم. ومن الكتب الحديثة نذكر منها: كتاب من سنن الله في عباده للشيخ البوطي، وكتاب السنن الإلهية للدكتور عبد الكريم زيدان، وقد استفدت منها في كتابتي للبحث.

والملاحظ في الرسائل العلمية التي اطلعت عليها، تركيزها على تتبع أنواع الابتلاء، وذكر المواعظ القيمة التي ينتفع بها المسلم، وعلى تفصيل مقصد الاختبار ومقصد تكفير الذنوب، ويتبع

محتوى هذه الرسائل نجد أن الحديث عموماً موجه إلى المسلم الملتزم، وبالخصوص إلى الدعاة إلى الله، وأما باقي الفئات: عامة المسلمين والمسلم العاصي والكافر - وما أكثرهم - فإن الابتلاء الذي يصيبهم فيتحدثون عنه في أسلوب أخذ العبرة والاتعاظ، ودائماً موجه إلى المسلم الملتزم.

وأذكر نموذجين ممن تناول هذا الموضوع:

- الابتلاء في القرآن الكريم، وهي رسالة دكتوراه لمحمد بن عبد العزيز لحمادي الرحالي، بجامعة أم القرى 1988م، تحدّث فيها الباحث عن العدالة الإلهية والحكمة من الابتلاء الذي يصيب المؤمن، وخاصة ما يواجهه الداعية إلى الله، وذكر عقاب الكفار من جراء ظلمهم.
- مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم، هو بحث للدكتور نزار أسعد نزار، نشر في مجلة جامعة دمشق، 2004م، تناول فيه صاحبه معنى الابتلاء وحقيقته، ثم أشكال الابتلاء وصوره، وسر تنوعه، وموقف المكلف من البلاء، ثم أسباب البلاء وفوائده. ولم يكن غرض الدراسة مسح شامل للمقاصد من الابتلاء بالضرّ.

### الإشكاليات المطروحة:

من أهم الإشكاليات، النظرة القاصرة لموضوع الضرّ، والتي تتسم بالضبابية وعدم الوضوح. فكثير من المسلمين عند حلول الضرّ تغيب عنه النظرة الشاملة لمقاصده، فيصرف همه لمقصد قد لا يكون هو المراد، ويفوته الانتفاع بذلك الضرّ، وغالباً ما يكون ذلك بسبب خلل في ميزان الرؤية إلى مقاصد الضرّ، فيقوم بتضخيم مقصد على حساب المقاصد الأخرى، أو الاقتصار على مقصد ما وإغفال آخر، كأن يرى المسلم في الضرّ الذي يصيبه، تكفيراً لذنوبه - بالرغم من أهمية هذا المقصد - فيصبر ويحتسب، بينما قد يكون المقصد من ضرّه هو تنبيهه إلى ظلم هو مقيم عليه غافل عنه .

ومن التساؤلات الملحة في هذا الموضوع:

- هل الابتلاء بالضرّ والمصائب، يُكفر الكبائر؟، وهل يُكفر مظالم العباد؟ .
- وهل الملتزم بشعائر الإسلام، عليه أن يتوقّع مضاعفة المصائب، وتوالي الأمراض؟
- هل يفيد العلم بمقاصد الضرّ شيئاً، إذا اكتفي بفعل المأمور، واجتناب المحذور، والرضا بالمقدور؟

وغيرها من المسائل التي يطرحها عامة المسلمين، ولا يطرحها العلماء العارفون.

### المنهج المتبع:

اعتمدت في إعداد هذه الرسالة على المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي الاستنباطي حسب الخطوات الآتية:

- جمع الآيات التي أشارت إلى الضرّ الدنيوي بشتى أنواعه وصيغته. وكان التركيز على الضرّ الذي يُصاب به الإنسان في الحياة الدنيا فقط.
- ضبط المصطلحات، مع الإشارة إلى تداخل المقاصد فيما بينها.
- تصنيف تلك الآيات حسب المقصد من الضرّ المذكور.
- اختيار وانتقاء نماذج منها، يكون المقصد فيها بارزاً، ثم أحده وأعيّنه مستعينا بكتب التفسير الموثوقة، ثم إعطاء نماذج من القصص القرآني، ومستشهدا ببعض أحاديث المصطفى عليه أركى الصلاة والسلام.
- جمع شتات ما في المصادر والمراجع حول الموضوع، وصياغتها بحيث يتميز المقصد من الضرّ ويتوضح. دون حصر على فئة من فئات الأمة الإسلامية، واجتهدت في الابتعاد عن مواطن الخلاف مراعاة لأهداف البحث.
- حاولت تنزيل تلك الآيات وتلك المقاصد على الواقع بذكر نماذج نراها يومياً في حياتنا، - لكي لا تبقى هذه الدراسة نظرية وجامدة - لأن القرآن يعالج واقع الفرد والمجتمع.
- اتباع المنهج العلمي في توثيق المعلومات بإرجاعها إلى مصادرها، وتخريج الأحاديث المعتمد عليها، وعزو الأقوال إلى أصحابها.

### الخطوة المتبعة:

قسمت البحث إلى: مقدمة، فصل تمهيدي، وثلاثة فصول، ثم خاتمة.

الفصل التمهيدي: فيه ثلاثة مطالب خصصت الأول للتعريف بالمصطلحات، والثاني لتحرير الموضوع وعلاقته بمقاصد القرآن والثالث تناولت فيه الفائدة من البحث والحدود الشرعية للحديث عن حكمة الله ومقاصد القرآن.

**الفصل الأول:** العدالة الإلهية والمقصد من الضرّ، في المبحث الأول تطرقت إلى فهم الحياة وفوائد ذلك، ثم تقرير الجزاء الالهي في الحياة الدنيا والضر المترتب على سوء الأعمال. وضربت أمثلة على ذلك. وفي المبحث الثاني كان الحديث عن دور الضرّ في إقامة العدل بين العباد، مبينا لخطورة الظلم في الشرع وكونه سببا للمصائب على مستوى الأفراد والجماعات.

**الفصل الثاني :** مقصد ابتلاء المؤمنين بالضرّ ويشتمل على أربعة مباحث؛ فبعد إظهار محورية الابتلاء صنفنا ابتلاء المؤمن الى ثلاثة مقاصد وهي:

- الاختبار والامتحان لغرض التمييز.
- التطهير والترقية وتكفير الذنوب.
- الاجتباء والتكريم.

في كل مبحث قمت بتقرير المقصد وذكر النماذج وتحليل بعض الإشكالات.

**الفصل الثالث:** مقصد التنبيه والتذكير والإنذار، ولكلّ منها مبحث؛ في مقصد تنبيه عباد الله المقربين ذكرت النماذج وأقوال العلماء، وفي مقصد تذكير المسلم العاصي وإنذاره عمدت إلى تقرير هذا المقصد ثم ذكر النماذج؛ وفي مقصد إنذار وإهلاك الكفار ذكرت سنة العذاب الأدنى والضرّ المحيط، ثم مقصد الإهلاك الذي يسبقه الإنذار وربما الإستدراج.

# الفصل التمهيدى

## المبحث الأول: تعريف المصطلحات

### المطلب الأول: المقاصد

1- لغة: **القصد**: استقامة الطريق وطريق قاصد: سهل مستقيم، ومنه ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾<sup>1</sup> والقصد: العدل وهو الوسط بين الطرفين. **والقصد**: الاعتماد والأم، قصده، يقصده قصداً، وقصدك أي تجاهك، والقصد: إتيان الشيء، قال ابن جني: أصل "ق. ص. د" ومواقعها عند العرب الاعتزام والتوجه والنهوض والنهوض نحو الشيء<sup>2</sup>.

2- **اصطلاحاً**: يستعمل الأصوليون عادة لفظ المقاصد تحت معنى الهدف والغاية من الأحكام التشريعية، وهناك العديد من الألفاظ المستعملة بمعنى المقاصد، ومنها: الحكم والحكمة، والأسرار، والغايات، والأهداف، والأغراض<sup>3</sup>.

وعلى الرغم من التقاطع والتداخل الكبير بين المقاصد المذكورة عند العلماء، فإنه من الواجب التفريق بين مقاصد الشريعة المستعملة عند الفقهاء لاستنباط الأحكام الفقهية التفصيلية، والمقاصد العامة للشريعة أو مقاصد القرآن.

أ- **مقاصد الشريعة العامة**: يقول الإمام ابن عاشور: « مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها »<sup>4</sup>.

ويعرف الدكتور الريسوني مقاصد الشريعة بأنها: « الغايات المستهدفة والنتائج والفوائد المرجوة من وضع الشريعة جملة، ومن وضع أحكامها تفصيلاً، أو هي الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل

1- سورة التوبة: 42.

2- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر - بيروت، (د. ط - د. ت)، مج 3، ص 353-355.

3- دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور، نشوان عبده خالد قائد، مجلة مجمع، العدد 4، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ص 5-6. المرجع الأصلي: مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم- بيروت، ط 1، 1429هـ-2008م، ص 20-21.

4- مقاصد الشريعة الإسلامية، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، دار النفائس، بيروت ط 2، 1421هـ-2001م، ص 251.

تحقيقها لمصلحة العباد»<sup>1</sup>.

وعرّفها علال الفاسي: «المراد بمقاصد الشريعة، الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»<sup>2</sup>.

قد اهتم بمقاصد الشريعة وأبدع فيها نخبة من الأئمة الأجلاء أمثال الإمام الجويني والإمام أبو إسحاق الشاطبي...، وأخذت مكانها في علم أصول الفقه لتصبح من ركائز الاجتهاد.

**ب- مقاصد القرآن:** استعمل كثير من العلماء في كتاباتهم مصطلح مقاصد القرآن عند تناول المقاصد، ودون أفراد مصطلح مقاصد القرآن بتعريف أو تحديد. وأقرب مثال على ذلك قول الإمام العز بن عبد السلام: «ومعظم مقاصد القرآن، الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفساد وأسبابها»<sup>3</sup>.

وقد اهتم العلماء حديثاً بهذا العلم إذ يقول الدكتور الريسوني عن المقاصد العامة للقرآن: «يتعلق هذا القسم بالمقاصد العامة الجامعة التي أنزل القرآن لأجل بيانها للناس وتوجيههم إليها، وحثهم على إقامتها ورعايتها، بحيث نجد العناية بها والقصد إلى تحقيقها في عامة سوره وأجزائه، سواء أكانت في عقائده أم في أحكامه وآدابه، أم في قصصه أم في أي صنف من آياته»<sup>4</sup>.

### المطلب الثاني: الابتلاء

يقال بَلِيَ الثوب، بَلَى وبِلاءً، أي خَلِقَ، ومنه لمن قِيلَ سافر: بلاه سفر، أي أبلاه السفر.

وبلوته اختبرته كأنني اخلقته من كثرة اختباري له . وَفُرِيَ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾<sup>5</sup>

1- الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، د. أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، ط 1، 1999، ص 13.

2- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 5، 1993، ص 7.

3- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، الامام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت 660هـ)، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، 1411هـ - 1991م، ج 1، ص 8.

4- مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر - بيروت، ط 1، 2013، ص 24.

5- سورة يونس: 30

أي تعرفُ حقيقة ما عملت، ولذلك قيل أبليت فلانا إذا اختبرته.<sup>1</sup>

بلوتُ الرجل بلواً وبلاء، وابتليته: اختبرته، إذا جربه .

وابتلاه الله: امتحنه، والاسم البلوى والبلوة.

وقد ابتليته فأبلاني، أي استخبرته فأخبرني، وقال ابن الأعرابي: " بلى بمعنى أخبر "

والبليَّةُ والبليَّةُ والبلاءُ وبُلي بالشيء بلاءً وابتلي.<sup>2</sup>

البلاء ومنها الابتلاء لغة تضمنت معان أبرزها ثلاثة:

- الاختبار والامتحان.

- الاختلاق.

- الإخبار

« والبلاء: الاختبار بالخير والشر، قال تعالى: ﴿ وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>3</sup>

وأشهر استعماله إذا أُطلق أن يكون للشر، فإذا أردوا به الخير احتاجوا إلى قرينة أو تصريح.<sup>4</sup> »

الفرق بين التكليف والابتلاء: التكليف وأصله في العربية الإلزام، وهو إلزام العبد وتحميله ما يشق عليه، والابتلاء هو استخراج ما عند المبتلى، والتعرّف على حاله في الطاعة والمعصية بتحميله المشقة، وليس هو نفس التكليف، وقد نسمى التكليف ابتلاء في بعض الأحوال، من باب تسمية الشيء باسم ما يقاربه في المعنى.<sup>5</sup>

البلاء والابتلاء أعمّ من المصيبة من وجه وأخص من وجه آخر، فالبلاء والابتلاء أعمّ من المصيبة من وجه، لأنهما يكونان في السراء والضراء، وأما المصيبة فلا تكون إلا في الضراء، ولكن

1- معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت503هـ)، ضبط

إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 1434هـ-2013م، ص 82 في مادة: بلي.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة بلى، ج14، ص 83

3- سورة الأعراف: 168.

4- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د.ط - د.ت)، ج1، ص 493.

5- الفروق في اللغة، الإمام أبو هلال العسكري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة-

بيروت، ط 7، 1411هـ-1991م، ص 210.

في ذات الوقت البلاء والابتلاء أخص من المصيبة من وجه آخر، لأن المصيبة تصيب المكلفين وغيرهم كالأطفال؛ بينما البلاء والابتلاء لا يكون إلا في حق المكلفين.<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: الضر

**الضرّ سوء الحال:** إما في نفسه لقلّة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص. وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه، وقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾<sup>2</sup>. فهو محتمل لثلاثها...

والضرّاء تقابل بالسراء والنعماء، والضرّ بالنفع قال: ﴿وَلَمَّا أَذِقْنَاَهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءٍ﴾<sup>3</sup>، والضرّ يقابل بالنفع ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾<sup>4</sup>.

أورد الإمام العسكري في كتابه الفروق اللغوية ما يلي:

- « الفرق بين الضرّ والضرّ، أن الضرّ خلاف النفع، ويكون حسنا وقبيحا والضرّ بالضم الهزال وسوء الحال.
- الفرق بين الضرّ، والضرّاء: أن الضرّاء هي المصرة الظاهرة.
- الفرق بين الضرّاء والبأساء: أن البأساء ضرّاء معها خوف وأصلها البأس، وهو الخوف، يقال لا بأس عليك، أي لا خوف عليك.
- الفرق بين الضرّ والسوء: أن الضرّ يكون من حيث لا يعلم المقصود به، والسوء لا يكون إلا من حيث يعلم.
- الفرق بين المصرة والإساءة: أن الإساءة قبيحة، وقد تكون المصرة حسنة إذا قصد بها وجه يحسن نحو المصرة بالضرب للتأديب.
- الفرق بين الإساءة والسوء: أن الإساءة اسم للظلم، يقال أساء إليه إذا ظلمه والسوء اسم للضرر والغم، يقال: ساءه يسوءه إذا ضرّه وغمّه، وإن لم يكن ذلك ظلما.

1- فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة، أبو فيصل البدراني، نسخة إلكترونية، تاريخ التحميل: 2017/04/04، ص18.

2- سورة الأنبياء: 84

3- سورة هود: 10

4- سورة الفرقان: 3

• الفرق بين الضرّ والشرّ: أنّ السقم وعذاب جهنم ضرّ في الحقيقة وشرّ مجازاً، وشرب الدواء المرّ رجاء العافية ضرر يدخله الإنسان على نفسه، وليس بشرّ. والشرّ القبيح هو الظلم...<sup>1</sup>

« الدقيش: الضرّ ضد النفع، والضرّ بالضم الهزال وسوء الحال، كما في عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾<sup>2</sup>، وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّةٍ﴾<sup>3</sup>، فكل ما كان من سوء الحال وفقر أو شدة في بدن فهو ضرّ، وما كان ضداً للنفع فهو ضرّ، وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾<sup>4</sup> من الضرر، وهو ضد النفع، والمضرة خلاف المنفعة.

قال ابن الأثير: الضراء الحالة التي تضرّ، وهي نقيض السراء، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾<sup>5</sup>، قيل الضراء النقص في الأموال والأنفس...<sup>6</sup>

الضرّ المقصود في بحثنا هو كل ما هو مكروه تأباه النفوس عادة، وتفر منه، ويشقّ عليها والمعنى القريب هو ما ذكره ابن منظور في لسان العرب « في الحديث: ((ابتلينا بالضراء فصبّرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر))<sup>7</sup> قال ابن الأثير: الضراء الحالة التي تضر وهي نقيض السراء، يريد أن اختبرنا بالفقر والشدة والعذاب، فصبّرنا عليه، فلما جاءت السراء وهي الدنيا والسعة والراحة بطرنا ولم نصبر...<sup>8</sup>

وعلى هذا: فالضرّ كل ما يصيب ويؤلم ويدخل الهموم على القلوب، أو يضرّ بالأبدان من أسقام وأوجاع، أو ما يصيب محبوباً من ولد ووالد أو زوجة أو قريب أو صديق أو هلاك أموال، أو فوات ما تشتهيهِ الأنفس وتلذّه الأعين.

1- الفروق في اللغة، الإمام أبو هلال العسكري، ص 192-193

2- سورة يونس: 11

3- سورة يونس: 11

4- سورة آل عمران: 120

5- سورة الأنعام: 21

6- لسان العرب، ابن منظور، مج 4، ص 482

7- رواه الترمذي، باب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: 2500، وهو قول لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. جامع الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1، (د.ت).

8- لسان العرب، ابن منظور، مج 4 ص 483

## المبحث الثاني: موقع مقاصد الضر من مقاصد القرآن (تحرير الموضوع)

ازداد اهتمام العلماء بمقاصد القرآن في العصر الحديث وعدادوا مقاصده ومحاوره الكبرى، وسنقتصر على ذكر الذين اهتموا وأشاروا إلى مقصد الابتلاء بالضر وأدرجوه ضمن مقاصد القرآن.

### المطلب الأول: تصنيف الإمام أبي حامد الغزالي

ذكر الإمام الغزالي أن المقصد الأقصى للقرآن هو دعوة العباد إلى الله تعالى، وذكر أن مقاصد القرآن ستة؛ ثلاثة منها مهمة، وثلاثة متممة.

« أما الثلاثة المهمة فهي:

- تعريف المدعو إليه
  - وتعريف الصراط المستقيم الذي يجب ملازمته في السلوك إليه
  - وتعريف الحال عند الوصول إليه
- وأما الثلاثة المُغنية المُتممة:
- فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم، وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة، وكيفية قمع الله لهم وتكيله لهم، وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب.
  - وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم.
  - وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق أو كيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد»<sup>1</sup>.

أشار الإمام الغزالي إلى مقاصد الضر والابتلاء في المقصد الرابع، وهو من المقاصد المتممة، وذلك عندما ذكر لطائف صنع الله في الإنسان، وما تضمنه من تشويق وترغيب أو من اعتبار وترهيب.

1- جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي (م 505 هـ)، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القبانى، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 2، 1406هـ-1986م، ص 23-24

## المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند الإمام ابن عاشور

في المقدمة الرابعة من تفسير الإمام ابن عاشور، يقول: « إن القرآن أنزله الله تعالى كتاباً لصالح أمر الناس كافة، رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>1</sup>، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية والعمرانية، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتركيتها<sup>2</sup>. ثم ذكر المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبينها وعددها ثمانية، نذكر منها ماله علاقة بالموضوع وهو:

« - المقصد الثاني: تهذيب الأخلاق

- المقصد السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب<sup>3</sup>.

للضرِّ والابتلاء علاقة وثيقة بهذين المقصدين، وذلك لما في الابتلاء من فوائد عظيمة في تهذيب النفس وتطهيرها، ولما في الضر من إنذار وتحذير لمن خالف أمر الله تعالى.

## المطلب الثالث: مقاصد القرآن عند الدكتور العلواني

استخلص الدكتور العلواني - رحمة الله عليه - بفكر مبدع نابع من الواقع الإنساني، على أساس قرآني، استخلص ثلاثة مقاصد كلية من القرآن الكريم، سماها المقاصد الشرعية العليا الحاكمة وهي التوحيد والتزكية والعمران، وهذه المقاصد العليا ابتناها على « الاستقراء التام لآيات الكتاب المحكمة، ولكل ما صح عن رسول الله ﷺ »<sup>4</sup>.

وهي « مندرجة تحت مفهوم (العبادة)، بشكل تام... فالتوحيد لبّ العبادة وأسسها، والتزكية هدفها ومقصدها وغايتها، والعمران مرآة التوحيد وثمره التزكية »<sup>5</sup>.

1- سورة النحل: 89

2- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج1، ص38

3- نفس المصدر، ج1، ص 40-41

4- مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني، دار الهادي للطباعة والنشر - بيروت، ط 1، 1421هـ-2001م، ص 147.

5- مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني وآخرون، تحرير وحوار عبد الجبار الرفاعي، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، ط 1، شوال 1422هـ - 2002م، ص 83.

وفي تحليله لهذه المقاصد يقول: « التوحيد يمثل حق الله تعالى على العباد، وبدونه لا يمكن أن يتحقق شيء من المنظومة كلها... والتزكية تمثل أهم مؤهلات الإنسان المستخلف، الذي بدون التزكية يفقد أهليته للقيام بدور الخليفة، ويفقد مؤهلاته لل عمران، والكون لم يخلق عبثاً ولم يوجد سدى، بل خُلِقَ لِيُعَمَّرَ »<sup>1</sup>.

وقد قسم رحمة الله عليه المقاصد إلى ثلاثة مستويات ذات اتصال وثيق فقال: « وهذه المقاصد الثلاثة العليا تستدعي - بالضرورة - سائر المستويات الأخرى من المقاصد (كالعدل والحرية والمساواة) فهذا المستوى من القيم والمقاصد ضروري لتحقيق المقاصد العليا - التي يمكن إدراجها في المستوى الثاني- وهو بدوره يستدعي المستوى الأخير الذي جرى تركيز الأصوليين والفقهاء عليه »<sup>2</sup>.

ثم ذكر خصائص لهذه المقاصد العليا نذكر منها:

« المقاصد العليا لا تعد مقاصد كلية إذ لم ترد بها رسالات الأنبياء كافة.

فمن شأنها أن تكون قادرة على ضبط الأحكام الجزئية وتوليدها - عند الحاجة - في وسائل أنواع الفعل الإنساني - القلبي منها والعقلي، والوجداني والبدني - ليتحقق ربط الجزئيات بالكليات ... فهي كالمبادئ الدستورية فيما يتعلق بالجانب التشريعي<sup>3</sup>.

ولكي يُبرز دور الفعل الإنساني في العمران والاستخلاف يقول: « ولكي يتبلور الفكر المقاصدي الكلي، كان ينبغي الانطلاق من مبادئ (العهد والاستخلاف والأمانة والابتلاء، ثم التسخير) لبناء القيم العليا ... وعلى دعامتي العهد والائتمان، قام مبدأ ابتلاء الإنسان في أفعاله »<sup>4</sup>.

جعل الدكتور العلواني التزكية من المقاصد العليا الثلاثة للقرآن، ذلك لإعداده لحمل الأمانة وعمارة الأرض، وهكذا كان نهجه الإصلاحية في إقامة الحضارة الإسلامية، وللابتلاء نصيب وافر في تطهير المسلم وترقيته وفي إبلاغ الإنسان عامة إلى سبيل فلاحه وسعادته.

1- مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني وآخرون، مصدر سابق، ص 97

2- المصدر نفسه، ص 83

3- مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني، ص 138-139

4- مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني وآخرون، ص 78-80.

## المطلب الرابع: مقاصد العقائد ومقاصد الضرّ

كثير من الأئمة - قديما - بحثوا في مضمون مقاصد العقائد، وإن كان ذلك تحت مسميات مختلفة ككتابتهم عن الأسرار والحكم في الصلاة والزكاة، أو ما تعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

فمثلا قد كتب الإمام العز بن عبد السلام في مقاصد الصلاة، وقد فصل الإمام الغزالي كتابه إحياء علوم الدين في مقاصد العقائد. وحديثا كتب الدكتور محمد عبدو، كتاب مقاصد العقائد عند الإمام الغزالي.

ومن العلماء المعاصرين الشيخ القرضاوي الذي يقول: « وأحسب أن الأصوليين الذين حصروا مقاصد الشريعة في الكليات الخمس، أرادوا أن تشمل العقائد فيما تشمل، ولهذا جعلوا الدين هو الضرورة الأولى، والعقائد هي رأس الدين وأساس بنيانه كله»<sup>1</sup>، ويقول الدكتور الريسوني: « لكي تستعيد عقائدنا وجهها الحقيقي، وتؤدي دورها الحقيقي، وتستعيد موقعها الأساس في حياتنا وعلومنا وثقافتنا، لابد من البحث في مقاصدها الشرعية ودراستها والتعامل معها في ضوء مقاصدها تلك، فهذا مجال كبير وبكر من مجالات علم المقاصد، يحتاج إلى باحثين أفذاذ، ومستكشفين رواد»<sup>2</sup> \*  
وقد أورد الدكتور جاسر عودة في كتابه الاجتهاد المقاصدي فصلا خصّه للاجتهاد في مقاصد العقائد وجعل مقاصد صفتي المعطي والمانع نموذجا.

وأما ما يتعلق بموضوع بحثنا فمع علاقته الواضحة بمقاصد العقائد، فإنه يبتعد عن هذا العلم، ويقترّب من مجال مقاصد القرآن، وذلك من حيث المنهجية المتبعة التي ارتكزت على استقراء آيات القرآن الكريم وتصنيفها قصد الانتفاع بما حوتها من رسائل في الضرّ والابتلاء.

وتبقى مقاصد العقائد وما فيها من اقتحام لأسرار الغيب التي لا يجرؤ عليها إلا العلماء الأفذاذ الراسخون في العلم والإيمان كما أشار الدكتور الريسوني.

1- الاجتهاد المقاصدي (من التصور الأصولي إلى التنزيل العملي)، د. جاسر عودة، طباعة الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2013، ص 140.

2- المصدر نفسه، ص 141.

\*- كلمة الشيخ القرضاوي والشيخ الريسوني، ألقياها في مؤتمر، ووثقها د. جاسر عودة في كتابه المذكور سابقا، إذ لم أعرّ على مصدرها فقمتم بنقلها نظرا لأهميتها.

### المبحث الثالث: الفائدة من البحث في مقاصد الضر وحدود ذلك

كلنا قد يصاب بمرض أو ضرر، "الحمد لله الذي عافاني" بالرغم من أن جاري قد أصيب، فهل هذا من حسن حظي، أم أن الله راض عني، أهو عقاب له أم ابتلاء؟ أم الأحسن ألا أفكر في الأمر. هذه وأسئلة كثيرة أخرى يطرحها الإنسان على نفسه أمام كثير من الأحوال كل يوم، فهل يحق للمسلم طرح مثل هذه الأسئلة والبحث فيها؟ أم هي من الأسئلة المنكرة شرعا، فوجب قمعها والتخلص من تكرارها؛ ثم إذا كان الكلام في ذلك مشروعا فما حدوده؟ ثم هل من فائدة في البحث فيه؟ هذا ما سأحاول البحث فيه.

#### المطلب الأول: هل أفعال الله معللة

بدون الخوض في آراء الفرق قديما يظهر أن مسألة تعليل أحكام الله وأفعاله قد أخذت نصيبها من التفصيل والكتابة، والأمة الإسلامية متفقة على أن أفعال الله وأحكامه لها مقاصد وعلل وفق حكمة الله التامة، علمنا وجه الحكمة أم جهلنا، « إذ قد ثبت بالأدلة القطعية أن الله لا يفعل الأشياء عبثا، دل ذلك صنعه في الخلق، كما أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>1</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>2</sup> «<sup>3</sup>. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾<sup>4</sup>

ويقول الإمام ابن القيم: « أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئا عبثا ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بما فعل «<sup>5</sup>.

1- سورة الدخان: 38-39

2- سورة المؤمنون: 115

3- مقاصد الشريعة الإسلامية، الإمام الطاهر بن عاشور، ص 179.

4- سورة آل عمران: 191

5- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (691-751 هـ)، تخريج مصطفى أبو النصر شلبي، مكتبة السوادي للتوزيع- جدة، ط 1، 1412هـ-1991م، ص 87.

بعد أن علمنا وأيقنا أن ما يصيبنا من خير أو ضرر إلا وراه حكمة، فهل في مقدورنا إدراك تلك الحكمة؟ وهل بمقدور الجنين أن يدرك ما يعمله الكهل الخبير؟ فمهما أوتي الإنسان من فطنة ونباهة، فلن يدرك ما رتبّه الله من حكم عظام تجاه ما نعيشه من أحداث، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾<sup>1</sup>.

فهذا سيدنا نوح عليه السلام لما خفي عليه العلة من إهلاك ابنه، يسأل الله في أدب عال وسمو أخلاق ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾<sup>2</sup> « لم يعلم إذ ذاك أنه ممن سبق عليه القول، فإنه كان يظنه من المؤمنين ... ثم أجاب الله سبحانه ببيان أن ابنه غير داخل في عموم الأهل، وأنه خارج بقيد الاستثناء ف ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، الذين آمنوا بك، وتابعوك، وإن كان من أهلك باعتبار القرابة، ثم صرح بالعلة الموجبة للخروج من عموم الأهل المبينة له بأن المراد بالقرابة قرابة الدين، لا قرابة النسل وحده، فقال ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ... ثم نهاه عن مثل هذا السؤال ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>3</sup> ... بادر بالاعتراف بالخطأ، وطلب المغفرة والرحمة، ف ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>4</sup> «<sup>5</sup>.

فأين نحن أمام أولي العزم من الرسل من إدراك أسرار تدبير الله تعالى لشؤون خلقه.

### المطلب الثاني: هل البحث عن مقاصد الضرر مأذون به؟ وما حدود ذلك .

إنّ البحث عن مقاصد الضرر هو من باب الاستقراء لآيات القرآن واستنباط الحكمة والمقصد وهو السبيل الأمثل لكلّ دارس، فانظر إلى الدكتور جاسر عودة، فبعد النظر في آيتي سورة الحديد: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لَّكَيْلًا

1- سورة آل عمران: 179

2- سورة هود: 45

3- سورة هود: 46

4- سورة هود: 47

5- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة- بيروت، ط 4، 1428هـ-2007م، ج 12، ص 661.

تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ<sup>1</sup>، و﴿لَكَيْلًا﴾ هنا للتعليل، أي أنه سبحانه وتعالى أخبرنا عن الكتاب الذي كتب فيه كل شيء، لكيلا نأسى على ما فاتنا ونفرح بما آتانا، وهو إذن يقصد من تعليمنا هذه المسألة أن نستفيد من هذه الفوائد النفسية والدينية<sup>2</sup>.

فإذا للغوص في المسألة حدود هي:

- الالتزام بما ورد في الكتاب والسنة، وفهم وفق ما تتحمّله قواعد اللغة، وأساليب البيان، والابتعاد عن الأوهام والتصورات التي لا يشهد لها نصّ صحيح، ولا معنى صريح ولا عبارة دقيقة.
- تبني الاعتدال والوسطية، فلا إفراط ولا تفريط؛ فقد أمرنا الله بالاعتبار بما يصاب به الإنسان من ضرّ، فلا يكون الإنسان كالأنعام يعيش ظاهراً من الحياة الدنيا، وفي المقابل أخبرنا سبحانه وتعالى الرحيم، أنه: ﴿لَا يُكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>3</sup>، فلا يتهم الإنسان نفسه في كل صغيرة إلى حد الوسوسة، فيقع في الحرج والعسر. فالعدل العدل.
- ألا يتكلّف ما ليس له به علم، ولا يحكم على أشخاص معيّنين من الناس، من خلال تصاريف الأقدار التي حلّت بهم، إلّا ما كان من قبيل الأحكام العامّة. فالأصل في المسلم أن يحسن الظن بغيره، ولا يتتبع العورات فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

### المطلب الثالث: الفائدة من البحث في مقاصد الضرّ

وأما ما يخص الفائدة من البحث في مقاصد الابتلاء بالضرّ خصوصاً، فقد أشرت إلى بعض منها في أهداف البحث، والبعض الآخر ذكرته في مطلب فهم المعادلات من فصل العدالة الإلهية. وإنّ انفتاح المسلم على العقل الغربي، الذي يعطي للسلوك الإنساني منطقاً عقلياً، فرض على الشباب البحث والاستفسار عن "لماذا" في عصر اتسم بالمعلوماتية والانفتاح على الآخر، وسهولة الاتصال وانتشار علوم المناهج والمنطق والفلسفة وعلم النفس، والتي تدع الوجدان حيراناً إلّا من تسلح بنور القرآن.

1- سورة الحديد 22-23

2- الاجتهاد المقاصدي، د. جاسر عودة، ص 147.

3- سورة البقرة: 286.

وبين الانجراف مع الفلسفة الغربية في إيجاد أجوبة للتساؤلات الإنسانية فيما تعلق بالضرر، وبين النهي عن طرحها مطلقاً، قد انتهجت في البحث نهج علماء الإسلام في إطار الوحي الإلهي المنيع، ويبقى الأولى والأسلم للإنسان المسلم هو التخلق بأخلاق الإسلام والرضا والتسليم لأمر الله وحكمته.

يقول الدكتور طه العلواني: «فما كان يؤخذ لدى الآباء والأجداد باعتباره مسلمات وقضايا غير قابلة للنقاش لا يمكن للشباب والأبناء أن يأخذوها أو يتقبلوها بالأسلوب ذاته، وإذا قبلوها أو أكرهوها عليها، فسيحدث لهم انفصال عن عصرهم، وفصام يحملهم على رفض العصر وأهله وما فيه، فتبدأ ظواهر التكفير والتفسيق والتبديع بالذبوع والانتشار، كما يبدأ عندهم تشبث بالماضي، ومحاولة للارتداد إليه والعيش فيه، أو التخلي عنه والانسلاخ منه»<sup>1</sup>.

في فهم مقاصد القرآن الكريم دور كبير في توجيه الإنسان المسلم في العصر الراهن، إلى السلوك القويم يقول الدكتور الريسوني معددا فوائد مقاصد القرآن: «هي الميزان والمعيار الذي يجب أن نزن به أعمالنا الفردية والجماعية، وحياتنا الخاصة والعامة، فكل عمل قلبي أو أخلاقي أو اقتصادي أو سياسي أو عسكري أو حضاري لا يهتدي بمقاصد القرآن، وبمقاصده في القرآن فهو حائد عن هدي القرآن»<sup>2</sup>.

#### المطلب الرابع: شبهة ودفعها.

مع انتشار الفكر المادي الإلحادي بين كثير من المسلمين وتأثرهم به، صاروا يرون أن الضرر عموماً والأمراض والكوارث أمور لا دخل للأسباب الغيبية فيها، وأن أسبابها طبيعية بحتة، خاضعة للبرهنة والتجربة العلمية.

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾<sup>3</sup>.

مع تسليمتنا بالأخذ بالأسباب، فإن كل الديانات السماوية تخبرنا أن الله تعالى له الدخل المباشر على هذه المظاهر الطبيعية، وكل شيء مسير منه بقدر، فقد يعاقبنا الله أو يجازينا بهذه الأمور، فإله

1- مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني وآخرون، ص 121.

2- مقاصد المقاصد، د. أحمد الريسوني، ص 51.

3- سورة الجاثية: 24.

خالق الأسباب، وفي القرآن كثير من الآيات التي تثبت سنة السببية كقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>1</sup>،  
﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾<sup>2</sup>، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكَ﴾<sup>3</sup>.

يقول الإمام ابن القيم: « وأنت لا تجد كتابا من الكتب أعظم إثباتا للأسباب من القرآن، وبالله العجب إذا كان الله خالق السبب والمسبب، وهو الذي جعل هذا سببا لهذا، والأسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته، منقادة لحكمه... »<sup>4</sup>.

ولتبسيط الأمر نأخذ مثلا انتشار وباء في مدينة من المدن فمن الظاهر أن سبب انتشار الوباء هو الجرثوم وسبب مجيئه هو انتقاله عبر حامل له من بلد آخر، لكن السؤال الذي يُطرح: من الذي قدر لهذا المصاب أن يحمل هذا الجرثوم، وأن لا تظهر أعراضه فيه حتى يصل إلى البلد الآخر؟ وكيف رتب الذهاب إلى تلك البلاد دون سائر البلدان؟، وغيرها من المسببات التي يسيرها الله كما يشاء. وهذه كلها من الأسباب الخفية.

ومن بديع حكمة الله تعالى أن أخفى على الإنسان تدخله تعالى في الأسباب ليظهر من يؤمن بالغيب ممن يكفر، حتى بلغ من الملاحظة من تجرأ، وقال أن الله لم يعد يتدخل في الكون، سبحانه تعالى عما يصفون، يقول الدكتور طه العلواني: « الرسالة الخاتمة ليست كالرسالات التي سبقتها، فهي لم تُبق على الخوارق، وقهر العقل الإنساني بما يدهشه ويحيره، ويفرض على الاستسلام للامعقول، بل قامت على المنهج والمنطق، وربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، والعقل الإنساني في هذه الرسالة يتمتع بكامل صلاحياته له، بل عليه أن يستثمر كل طاقاته، فلا خوارق في العطاء الإلهي كتفجير الينابيع بضرب الحجر بالعصا، وإنزال المن والسلوى.

ولا خوارق في عقاب دنيوي صارم كالمسح قردة وخنازير، فالإنسان لا يتفاعل في هذه الرسالة الخاتمة مع الخوارق والغيوب، بل هو يتفاعل مع العالم الطبيعي، ومع الواقع المنظور»<sup>5</sup>.

1- سورة المائدة: 105.

2- سورة الأعراف: 39.

3- سورة الحج: 10.

4- شفاء العليل، الامام ابن القيم، ج 2، ص 86.

5- مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني وآخرون، ص 116.

الفصل الأول  
العدالة الإلهية  
والمقصد من الضرّ

## المبحث الأول: عدله سبحانه وتعالى في الخلق والأمر والقضاء

### المطلب الأول: فهم المعادلات

من عظيم نعم الله تعالى على عباده أن أنزل إليهم دستوراً يعلمهم أبجديات ومفردات هذه الحياة، ويمكّنهم من مفاتيح أسرار السعادة، فإن أساءوا فهمه أو أعرضوا عنه، أذيقوا البأساء والضرّاء، وانقلبت حياتهم شقاء، ومعيشة ضنكا فإن لم يستوعبوها أو أبدلوها بدستور غيره، فسيرون الكون كله ظلماً وظلاماً، يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِيتُكُمْ مَتِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾<sup>1</sup>.

كثير من مثل هذه الآيات التي تحدد لنا الغاية من وجودنا في هذه الحياة، والمصير الذي ينتظرنا، والسبل المؤدية إلى السعادة والمؤدية إلى الشقاوة، والحكمة من تمييز الإنسان بالعقل وحرية الاختيار. هذه الأسئلة المصيرية عندما يفهمها الإنسان ويتشربها قلبه، تنزوي عنه كثير من الإشكالات التي تتزاحم في نفس المصاب بالضرّ.

لقد حاولت الفلسفات القديمة والحديثة الإجابة عن هذه الأسئلة دون جدوى، فرغم تطور علم النفس العلاجي في الفكر الغربي، إلا أن كثيراً من المعالجين الميدانيين يعترفون بوجود ثغرات كبيرة، وانسداد في المحاور والاعتناء بالمصابين بأمراض خطيرة.

في بحث استطلاعي أقيم لخبراء معالجين يعملون في وحدة الإنعاش، يقول الكاتب: «معظم المعالجين يبتعدون من إقامة علاقات مع مرضاهم مع غياب أي حوارات بينهم، وأي محاولات لفهم مرضاهم، إلا سبعة من بين الثلاثين استطاعوا فهم المريض على أنه واع بمحيطه، ومما يعانیه، وهذا أمكنهم من إقامة علاقة خاصة مع المريض...»<sup>2</sup>.

والصعوبة في نظر الكاتب راجعة إلى شدة المعاناة النفسية، وإلى غياب مؤشرات لنماذج من الحوارات بين المريض والمعالج.

1- سورة طه: 123-124

2- Les professionnels de réanimation à l'épreuve de la relation avec le patient. Laurent A et autres. L'évolution psychiatrique, volume 80 issue 4, oct-dec 2015. Elsevier.

وهذه شهادة أخرى من مُحاضرة ورئيسة قسم العلوم الإنسانية في معهد للطب دانيال لوبول، تعبر في مقال لها عن صعوبة إيجاد جسور تفاهم مع المريض في أواخر حياته، وتخلص إلى عدم وجود نظرية مرجعية علمية موثوقة في هذا الوقت، وكل واحد يحاول إيجاد مؤشرات لإنجاز مهامه، وتقول: «إننا واعون أن العلاقة بين النظري والتطبيق العملي ذي الطابع الخصوصي يبقى معقدا وضبابيا، وهذا لا يمنع أن نحلم في إيجاد نظرية صارمة ومحددة تُحدث انقلابا في هذا المجال... ويبقى سؤالي: كيف أقيم تفكيرا متناسقا؟ بدون إجابة قابلة للتعميم».<sup>1</sup>

### أولا: حقيقة الحياة الدنيا:

**المفهوم الأول:** نجد في القرآن الكريم أن حقيقة الحياة الدنيا لا تساوي شيئا أمام الآخرة، يقول عز وجل:

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>2</sup>.

ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ قَتِيلًا ﴾<sup>3</sup>، وأمثال هذه الآيات

كثير .

**المفهوم الثاني:** أن الله سبحانه أعطى للنفس الإنسانية حرمة وقداسة ظهرت في الوعيد العظيم الذي رتبته لمن اعتدى عليها في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾<sup>4</sup>، في تشريع القصاص والحدود. هذا من جهة ومن جهة أخرى وعد الله سبحانه بالحياة الطيبة لعباده المؤمنين، واستخلافهم فيها، وأحل لهم الاستمتاع بها، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ ﴾<sup>5</sup>.

وعند دمج هذين المفهومين يتضح مفهوم الحياة الدنيا عند المؤمن « إن الجسر الذي يصل ما بين

1- Etre psychologue en soins palliatifs; maintenir une pensée cohérente malgré la polyvalence des fonctions. Daniel Le Boul, maître de conférence, directrice du département de sciences humaines et sociales, faculté de médecine et de science de la sante, Brest. Médecine palliative Elsevier 04 déc. 2007.

2- سورة العنكبوت: 64

3- سورة النساء: 77

4- سورة النساء: 93

5- سورة الأعراف: 32

الرجل وقريته تافه من حيث قصره وقلة شأنه، ولكن بالغ الخطورة، في الوقت نفسه من حيث أنه السبيل الوحيد الذي يوصل إلى قريته وبيته...

إن المسلم يقبل على الحياة إقبال العارف بها، المستأنس لها مهما كانت حاله وظروفه، لقد فهمها جسرا إلى غاية، فهي بحلوها ومرها وسيلة وسبب لتحقيق هدف، وليست هدفا بذاته، فسيان بعد هذا أن تكون نفقا مظلما يجتازه صاحبه في باطن الأرض، أو طريقا معبدا يقطعه بين الزهر والرياحين، فالنهاية السعيدة المتوقعة تضي على الطريق انشراحا وأنسا. <sup>1</sup>

لقد وعد الله تعالى الحياة الطيبة مقابل الإيمان والعمل الصالح في مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ <sup>2</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ <sup>3</sup>، فأبي معنى لهذه الحياة الطيبة إذا عاش المؤمن العامل سنين عمره متألما من المرض الذي ينهش جسمه؟.

« وقد فسرت (الحياة الطيبة) بالقناعة والرضا والرزق الحسن وغير ذلك، والصواب أنها حياة القلب ونعيمه، وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله، ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها <sup>4</sup>».

و « هذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب همهم وآمالهم، ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا... وتشير الآية أن الجزاء الأوفى يكون في الدار الآخرة. <sup>5</sup>».

1- انظر: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - دمشق، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط 3، 1421هـ-2000م، ص 65-69.

2- سورة النحل: 97

3- سورة النحل: 30

4- تهذيب مدارج السالكين الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (691-751هـ)، تهذيب عبد المنعم صالح العلي العربي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 5، 1416هـ-1996م، ج2، ص 942

5- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج 14، ص 273

## ثانياً: الضر من سنن الله في خلقه:

تساؤل: لماذا خلق الله الضر والألم؟ أليس هو الرحيم القادر، الفعال لما يريد، لماذا إذن لم يخلق كونا بدون ضر؟ سؤال لا يخطر على بال كثير من المؤمنين، لكن يعتبر منزلقاً فلسفياً لا يزال يجرّ كثيراً من الناس إلى الإلحاد.

**تعريف سنة الله:** فالسنن جمع سنّة، وسنّة الوجه طريقته، وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى قد تُقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته نحو: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>1 2</sup>.

ويُعرفها عبد الكريم زيدان، سنة الله: «هي الطريقة المتبعة في معاملة الله للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة»<sup>3</sup>.  
لقد خلق الله الأرض وخلق الإنسان واستخلفه فيها، ووضع لهذا العالم قوانيناً ونواميساً تحكمه وتسيره، فجعل لعالم الشهادة سنناً يكتشفها كل إنسان أمعن عقله في البحث عنها، ويتجلى ذلك في مظاهر الكون، من تعاقب الليل والنهار، ونزول الأمطار، وإحياء الأرض بعد مواتها، وفيما يعيشه الإنسان من تطور من ضعف إلى قوة ثم من قوة إلى ضعف ثم موت، وكذلك ما يعيشه من مرض وصحة، وفي القرآن إشارات كثيرة إلى هذه السنن، منها قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>4</sup>.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾<sup>5</sup>.

1- سورة الفتح: 23

2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 274

3- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1413 هـ-1993م، ص 15.

4- سورة يس: 38-39

5- سورة الأنعام: 96

وهذه الأمور تحدث وفق قانون عام دقيق ثابت صارم، لا يخرج عن أحكامه شيء، والإنسان لا يستطيع أن يغير شيئاً من هذا القانون وإنما يستطيع التعرف على دقيق جزئياته ثم التعامل وفقها.

وجعل سبحانه وتعالى لعالم الغيب سنناً أيضاً وقوانين يخضع لها البشر، من حيث تصرفاتهم وأفعالهم، وما يترتب عن ذلك من نتائج ومآلات. وهذه القوانين من علم الله، وقد خول لنا التعرف على بعضها لمن اقترب من الوحي الإلهي، يقول الدكتور زيدان: « إن الشريعة الإسلامية - بكتابتها العزيز القرآن، وبالسنّة النبوية الكريمة - تبيّن بوضوح وجلاء وجود "سنة عامة" لله تخضع لحكمها تصرفات البشر وأفعالهم وسلوكهم ومواقفهم من شرع الله، وما قد يترتب على ذلك من نتائج معينة في الدنيا والآخرة ... فسنة الله تعالى ثابتة، ومطرّدة وعامة، غير مقتصرة على فرد دون فرد، ولا على قوم دون قوم ... والسبيل لمعرفة سنة الله هو الرجوع إلى كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم محمد ﷺ، فما فيهما هو القول الفصل »<sup>1</sup>.

### ثالثاً: من ثمار الفهم؛

كثير من الاتجاهات الحديثة في علوم النفس، وبالخصوص علم النفس الاشفائي تظهر الآلام التي يعاني منها المرضى منطلقاً نفسي إلى حد كبير، حيث يتفاوت الإحساس بالألم من فرد لآخر بقدر كبير.

المسلم الذي فهم سر وجوده وحقيقته هذه الحياة الدنيا سوف يواجه الضر الذي يصيبه بأريحية وانسراح نفس، وربما بفرح وسرور كما هو شأن بعض الخواص.

يقول الرسول ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَانَ كَقَارَةٍ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرِضَ ثُمَّ أَعْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ))<sup>2</sup>.

1- السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص 12-17.

2- رواه أبو داود، باب الأمراض المكفرة للذنوب، رقم: 2687، سنن أبي داود، الامام أبو داود السجستاني (ت275هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر - دمشق، ط 1، (د.ت).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأَ بِالْبَلَاءِ. وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ، صَمَاءَ مَعْتَدَلَةً، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ))<sup>1</sup>.

في هذا الحديث معان عظيمة تعين المسلم على مواجهة المحن والشدائد، فالمؤمن لإدراكه مقاصد الضر وفهمه معنى الحياة الدنيا، يكتسب مرونة في تعامله مع الشدائد، كالنبتة اللينة تميل بها الريح أينما شاعت فتطاوعها وتكاد تقعد وتسقط من شدة الريح، لكن سرعان ما تستعيد اعتدالها شامخة، بل تزداد صلابة في مرونتها، والفاجر أو المنافق الذي لم يفهم مفردات وجوده، ليست له تلك المرونة في الشدائد، فهو كالنبتة الصماء التي لا تقبل انحناء، فإذا جاءت الريح مع قلتها كسرتها أو اقتلعتها.

يقول الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>2</sup>، يقول الإمام القرطبي: « قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾ أي يصدق، ويعلم أنه لا تصيبه مصيبة إلا بإذن الله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ للصبر والرضا، وقيل يثبتته على الإيمان، وقال ابن عباس: هو أن يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقرأ عكرمة (ويهدأ قلبه) بهزمة ساكنة ورفع الباء، أي يسكن ويطمئن »<sup>3</sup>.

نستشف هذا الأدب العالي والسمو النفسي عند معلمنا ومؤدبنا عليه الصلاة والسلام من خلال مناجاته لله عز وجل في دعاء الطائف، وقد أودى في سبيل الله، ولم يبالي بما أصابه من ضر مع

1- رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم: 5644، فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773هـ-852هـ)، تخريج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار السلام، ط 1، 1421هـ-2000م، ج 10، ص 128

الخامة: الغضة الرطبة من النبات، مج 12، ص 192. الأرز: شجرة أرزة أي ثابتة في الأرض، مج 5، ص 306. كفأتها: أطفأ الشيء أماله، مج 1، ص 141. لسان العرب لابن منظور. فإذا اعتدلت: والتقدير استقامت، أي فإذا اعتدلت الريح استقامت الخامة، فتح الباري، ج 10، ص 128.

وفي لسان العرب تكفأ: كفأ، فيه معنى المكافأة، أي الجزاء ومعنى التماثل والمساواة، تتكافأ: تتساوي.

وإذا تجرأت القول، إذا ذهب البلاء جاءت المكافأة من البلاء أو إذا تغلب على البلاء زاده قوة معنوية إذ كان ندا للبلاء.

2- سورة التغابن: 11

3- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1427هـ-2006م، ج 21، ص 15

طلب العافية ((... إن لم تكن غضبان عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك أوسع لي...))<sup>1</sup>.

ونختم هذه الفقرة بقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري في فهم حقيقة الضرّ والقبض والعطاء:

« ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، إن فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين

العطاء، إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه»<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: الجزاء الإلهي في الحياة الدنيا

#### أولاً: تعريفات:

• **العقاب:** والعقوبة المعاقبة والعقاب يختص بالعذاب قال: ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾<sup>3</sup>.

• **العاقبة:** عند إطلاقها يختص بالثواب نحو: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>4</sup>، بالإضافة قد تستعمل للعقوبة نحو

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى﴾<sup>5</sup>.

• **السيئة:** الفعل القبيحة وهي ضد الحسنه. الحسنه والسيئة ضربان:

- بحسب اعتبار العقل والشرع نحو المذكور في قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ

بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾<sup>7</sup>.

- بحسب اعتبار الطبع: وذلك ما يستخفه الطبع وما يستقله نحو قوله: ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾<sup>8</sup>.

1- الدعاء للطبراني، الإمام سليمان بن أحمد الطبراني (ت 360هـ)، تحقيق محمد سعيد النجاري، ومصطفى عبد القادر

عطاء، باب الدعاء عند الكرب والشدائد، رقم الحديث: 959، دار البشائر الإسلامية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، (د.ت)، ص 333.

2- الاجتهاد المقاصدي، د. جاسر عودة، ص 149

3- سورة ص: 14

4- سورة الأعراف: 128

5- سورة الروم: 10

6- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 381

7- سورة الأنعام: 160

8- سورة الأعراف: 95

9- المصدر نفسه، ص 276.

• **العصية:** عصى، عصيانا إذا خرج عن الطاعة، وأصله أن يتمنع بعصاه قال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>1</sup>.

• **الذنب:** الذنب يستعمل في كل فعل يُستَوْحَمُ عُقَابُهُ اعتباراً بذنب الشيء (المتأخر) ولهذا يسمى الذنب تَبَعَةً اعتباراً لما يحصل من عاقبته، وجمع الذنب ذنوب قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾<sup>3</sup>.

### ثانياً: لا يستوي الخبيث والطيب:

ما أريد أن أبينه في هذه الأسطر هو التساوي بين المقدمات والمآلات، فالآيات القرآنية تؤكد لنا هذه المعادلة ولا محاباة، فللمسلم أن يوطن نفسه، فإن كان سلوكه مشابهاً لفئة فإنه لا محالة لاحق بهم، ولا تساو بين الفئات في المآلات إذا اختلفوا في المقدمات.

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>5</sup>.

« أي أنظروا إلى من يقدمكم من الصالحين والمكذبيين، فإذا سلكتم سبيل الصالحين فعاقبتكم كعاقبتهم، وإن سلكتم سبيل المكذبيين، فعاقبتكم كعاقبتهم، وهذا بيان من الله تعالى لجميع الناس ليهتدوا به، وليعرفوا سننه »<sup>6</sup>.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾<sup>7</sup>.

« والصحيح أن اللفظ عام في جميع الأمور يُتصور في المكاسب والأعمال والناس، والمعارف من العلوم وغيرها، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا يُنجب، ولا تحسن له عاقبة وإن كثرت، والطيب - وإن قل - نافع جميل العاقبة، قال الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا

1- سورة النساء: 14

2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 377.

3- سورة آل عمران: 11.

4- المصدر نفسه، ص 203.

5- سورة آل عمران: 137-138

6- السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص 125.

7- سورة المائدة: 100

نَكِدًا<sup>1</sup> ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾<sup>2</sup>، وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْرَحُوا السِّيَّاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾<sup>3</sup> والطيب في الجنة والخبيث في النار، وهذا بين «<sup>4</sup>.

### ثالثاً: تقرير الجزاء الإلهي في الحياة الدنيا:

بالإمكان لمصاب أن يقول إذا خالفت القانون سأعاقب إذا كشف أمري، وإذا خالفت أمر الله سيكون العقاب في اليوم الآخر بعد الحساب .

حكمة الله اقتضت إنفاذ عدله بين عباده، فالجزاء بحسب العمل والجزاء يكون في الدارين، نافذاً وخفياً أحياناً في الحياة الدنيا، وظاهراً ووافياً في يوم الجزاء.

وقد استشهد الدكتور دراز بآيتين اثنتين لتقرير هذه الثنائية في الجزاء. إذ يقول ربنا تعالى عن دعاء المحسنين: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>5</sup>.

ويقول عن مصير المسيئين غير الصالحين: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>6</sup>.<sup>7</sup>

لتفصيل طبيعة الجزاء الدنيوي بالنسبة للمحسن والمسيء، يقول الدكتور دراز: « هو في جانب كبير منه جزاء أو طابع أخلاقي وعقلي وروحي، وفي جانب آخر ذو طابع مادي.

1- سورة الأعراف 58.

2- سورة ص: 28

3- سورة الجاثية: 21

4- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج8، ص 225-226

5- سورة البقرة: 201

6- سورة البقرة: 85

7- ينظر: مختصر دستور الأخلاق في القرآن، د محمد عبد الله دراز، إعداد المختصر محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، الاسكندرية-مصر، ط 1، 1417هـ-1996م، ص 103. بتلخيص وتصرف.

**الجانب المادي:** مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾<sup>1</sup>، وأكثر الآيات تركز على الجانب العقابي من الجزاء، أو المسبب للحرمان مثال ذلك: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>2</sup>.

أما الوعود القرآنية تكون مباشرة وصريحة لمن كان انشغاله بالمثل العليا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>3</sup>.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾<sup>4</sup>.

**الجانب العقلي والأخلاقي:** مثال للمحسنين: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>5</sup>، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾<sup>6</sup>، مثال المسيء: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾<sup>7</sup>، بلغ عدد الآيات التي تذكر ردود الفعل الأخلاقية الفورية 23 مكية و40 مدنية.

**الجانب الروحي:** وفي الجزاء الإلهي العاجل عنصر يتمثل في التعديل الذي تحدثه أفعالنا في علاقتنا مع الله، ذلك هو موقفنا تجاه الشرع الذي يجد الرد العاجل من الله بالقبول أو عدم القبول، فنصبح عنده مرضيا عنا أو غير مرضي، ونكسب حب الله أو نفقده.

1- سورة الطلاق: 2-3

2- سورة النحل: 112

3- سورة الحج: 38

4- سورة النور: 55

5- سورة الأحزاب: 71

6- سورة الحديد: 28

7- سورة البقرة: 10

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>1</sup>. ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>2</sup>، ونقيض ذلك ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْدِينَ﴾<sup>3</sup>،  
﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾<sup>4</sup>.

وعدد آيات الجزاء الروحي العاجل 20 عشرون آية مكية، و58 مدنية.

وقبل أن يتحدث القرآن عن الجزاء الإلهي في الحياة الآخرة يؤكد على: تصور الجزاء العاجل، وهكذا نجد على المستوى المادي والعقلي والأخلاقي والروحي تجاه الفرد أو الجماعة، ردا إلهيا على سلوكنا حسنا كان أم سيئا، غير أن كل هذا لا يكفي في نظر العدالة العليا.

فهي مجرد عينات أو مقدمات للعدالة الكاملة، لأن الجزاءات الإلهية في هذا العالم ليست شاملة ولا كاملة ﴿وَأِنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>5</sup> «<sup>6</sup>.

وأورد الدكتور دراز كثيرا من الآيات ليؤكد لنا معنى الجزاء الدنيوي مقابل أعمالنا صالحة كانت أو فاسدة، وفي الفقرة الموالية سنتناول فيها الضر المترتب على سوء أعمالنا.

#### رابعا: الضر المترتب على سوء الأعمال

يقول الإمام ابن القيم: « فالذنب لا يخلو من عقوبة البتة، ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبات... فترتب العقوبات على الذنب كترتب الإحراق على النار، والكسر على الانكسار... وقد تقارن المضرة الذنب، وقد تتأخر عنه، إما يسيرا وإما مدة، كما يتأخر المرض عن سببه أو يقارنه، وكثيرا ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام، ويذنب الذنب فلا يرى أثره عقبيه، ولا يدري أنه يعمل عمله على تدريج شيئا فشيئا... »<sup>7</sup>.

1- سورة البقرة: 193

2- سورة آل عمران: 31

3- سورة المائدة: 64

4- سورة النحل: 23

5- سورة آل عمران: 185

6- مختصر دستور الأخلاق في القرآن، د محمد عبد الله دراز، ص 103-109. بتلخيص وتصرف.

7- الداء والدواء، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (691-751هـ)، حققه: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 6، صفر 1423هـ، ص 180-182.

ثم يذكر العقوبات التي رتبها الله على الذنوب، أورد بعضاً منها: « فمنها الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار، وإغفال القلب عن ذكر الرب، وصرف القلوب عن الحق، وزيادتها مرضاً على مرضها.

ومنها التثبيط عن الطاعة والإقعاد عنها ومنها البعد عن البر والخير ومعالي الأعمال والأقوال والأخلاق»<sup>1</sup>.

يقول الدكتور زيدان: « سنة الله تعالى في عمل السيئات وما يترتب عليها سنة عامة قاطعة، تسري على جميع الخلق، ولا تتخلف عن فرد أو أمة أو جماعة، فلا محاباة لأحد فكل من يعمل سوءاً يلقى جزاءه ... قال تعالى في بيان هذه السنة العامة: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾<sup>2</sup>. »<sup>3</sup>

« وقال الجمهور لفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجزي بعمله السوء... »<sup>4</sup>

هذه السنة - سنة الجزاء عن عمل السوء - لها تفصيل، إذ السنن تتداخل فيما بينها حتى في الواقعة الواحدة، ولكن في العموم وبدون إطلاق يبدو أن الأمور تجري كما يلي:

- بالنسبة للكافر الذي لا يؤمن بالله، فإن العمل السيئ الذي يقوم به إن كان فيها مظالم للعباد، فإن الله من عدله أن يقتص منه في الدنيا قبل الآخرة، وأما إن كان من معاصي الله وليس فيه مظالم للعباد فإن عقابه مؤجل ليوم الحساب، ويكون عذابه جزاء كفره بالله، لأن فعل تلك المعاصي لم يتعهد باجتنابها، ولم يعط الولاء بالسمع والطاعة<sup>5</sup>.

- وأما بالنسبة للمؤمن فإن سنة الجزاء والعقاب عن سوء الأعمال تكون كالتالي:

- إذا كانت السيئة من مظالم العباد ولم يبادر المسلم إلى ردها فإن ذلك يترتب عليه العقاب والقصاص في الدنيا قبل الآخرة.

1- الداء والدواء، الإمام ابن قيم، ص 180-182.

2- سورة النساء: 123

3- السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص 206

4- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج 7، ص 151

5- ينظر للتفصيل: من سنن الله في عباده، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، (د.ط - د.ت)، ص 58

- وإن كانت السيئة مما يتعلق بين الله وعبده فإن الجزاء سيلحقه والقانون نافذ فيه، فيكون على شكل ضرر يمسّه من مصيبة في ماله أو مرض يوجعه، وذلك لا يخلو من رحمة الله بالنسبة للمؤمن الطائع، إذ في ذلك الضرر تكفير لذنوبه وتطهير لنفسه.

وهذه السنة لا تخلو من استثناء يقول الشيخ البوطي: « إن صياغة الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾<sup>1</sup> جاءت عامة في التعبير عن هذه السنة والقانون ف (مَنْ) من ألفاظ العموم، فهي تدل إذن على أن كل من ارتكب سوءا لا بد أن يجازى به، ولكن البيان الإلهي خصص عموم هذه الآية في آيات أخرى، فقد استثنى في أكثر من آية التائبين، وأعلن أن الله يغفر ذنوبهم، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾<sup>2</sup>. فدل ذلك على أن هذه السنة الإلهية خاصة بمن لم يبرع عن غيّه بالتوبة إلى الله.

وفي القرآن تخصيص آخر لهذه السنة دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>3</sup>. فالجزء الأول تأكيد للسنة الإلهية، ولكن الجزء الثاني يدل على أن في الناس من يعفو الله عن آثامهم ولا يعاقبهم عليها\*...

السنة الإلهية العامة هي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ والعارض والاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾<sup>4</sup>، فإن نازعتك نفسك أن القاعدة هي: ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾... فاذكر أن قرار العفو جاء لبعض من الناس دون كلهم، وأن هذا البعض غير معين، فأنت لا تعلم أ تكون أنت واحدا من أفرادها؟<sup>5</sup>

1- سورة النساء: 123.

2- سورة طه: 82.

3- سورة الشورى: 30.

\*- ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ من المعاصي التي يفعلها العباد، فلا يعاقب عليها، فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج25، ص 1330

4- سورة النساء: 48

5- من سنن الله في عباده، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص 205-206.

## خامسا: نماذج العقاب الدنيوي لمن تعدى على حرمان الله:

### 1- العقاب الخاص: حرمان صاحب الجنين:

القصة في سورة الكهف تذكر لنا جزاء الكفر والاستكبار والاستهزاء بيوم المعاد، فكان العقاب في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾<sup>1</sup>.<sup>2</sup>

### 2- العقاب العام: حرمان أصحاب سبأ

قال سبحانه وتعالى: ﴿... بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ...﴾<sup>3</sup>. هؤلاء قوم أنعم الله عليهم بالجنان والماء والرزق والثمار الطيبة والأمن ﴿أَعْرَضُوا﴾ عن الشكر وكفروا بالله، فأرسل الله عليهم نقمة سلب بها ما أنعم به عليهم ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾<sup>4</sup>.

1- سورة الكهف: 42.

2- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج 13، ص 281. فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج 15، ص 859.

3- سورة سبأ: 15-17.

4- ينظر: فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج 22، ص 1193.

## المبحث الثاني: الضر وإقامة العدل بين العباد

### تعريفات:

**الظلم:** « ظلم: الظلمة عدم النور، وجمعها ظلّامات. والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به، والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير»<sup>1</sup>.

« الظلم الميل عن القصد، والظلمة المانعون أهل الحقوق حقوقهم، يقال ما ظلمك عن كذا، أي ما منعك»<sup>2</sup>.

**العدل:** هو "ما قام في النفس أنه مستقيم، وهو ضدّ الجور. العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم. وعادلت بين الشئيين، وعدلت فلانا بفلان إذا سويت بينهما"<sup>3</sup>.

« العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر»<sup>4</sup>.

### المطلب الأول: النهي عن الظلم

الظلم مراتب في ميزان الشرع وما يترتب عليه من عقوبات، والظلم بمعنى التعدي على الغير من أعظم الذنوب، حتى قرّن بالشرك والكفر، ورتب الله عزّ وجلّ على فاعله أقصى العقوبات.

جاء في النهي عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾<sup>5</sup>، وفي بغضه للظالم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>6</sup>، والظلم مجملا يقع على الدماء والأموال والأعراض، كما جاء في قوله ﷺ في خطبة الوداع، يقول عليه الصلاة والسلام: ((فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا))<sup>7</sup>.

1- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 353

2- لسان العرب، ابن منظور، مج 12، ص 373

3- المصدر نفسه، مج 11، ص 430

4- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 364.

5- سورة النحل: 90

6- سورة الشورى: 40

7- رواه البخاري، كتاب العلم، باب 9، قول النبي ﷺ: رَبِّ مَبْلَغُ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، رقم: 67، فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج 1، ص 208.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: الضرّ عقاب للظالم على مستوى الأفراد

شرع الله لنا من الحدود لإقامة عدالته بين العباد، ورتب على قتل النفس بغير حق - وهي أعظم المظالم الاجتماعية - أكبر عقوبة عاجلة وهي الموت ورتب لها أشدّ الوعيد، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَبِجَزَائِهِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>2</sup>، والذنوب منها ما يجازي الله صاحبها في الآخرة، ومنها ما يجازيه في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة، بالنسبة لعقوبة الظالم غالباً ما تكون في الدنيا قبل الآخرة، وذلك لمقصد إقامة عدله بين الناس، فإما أن تكون على شكل إقامة حدّ من حدود الله عليه، وإن هو أفلت من العقوبة الشرعية فإنه سوف تلحقه العقوبة القدرية لا محالة، وعادة تكون أشدّ من العقوبة الشرعية والدليل على هذا.

عن عبيدة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي\* وقطيعة الرحم))<sup>3</sup>.

جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: ((... واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب))<sup>4</sup>.

والدلالة في هذا الحديث أن المظلوم يطلب من الله سبحانه الانتصار له والقصاص من ظالمه، بضر يصيبه في هذه الدنيا وفي أقرب الآجال.

1- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله..، رقم: 2564، صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، شرحه الإمام أبو زكرياء يحيى محي الدين بن شرف النووي الشافعي، مؤسسة قرطبة، ط 2، 1414هـ-1994م، ج 16، ص 182.

2- سورة النساء: 93

\*- البغي: الظلم والفساد، ويقال فلان يبغي على الناس إذا ظلمهم وطلب أذاهم، لسان العرب، ابن منظور، مج 14، ص 78.

3- رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: 2448، جامع الترمذي، الإمام الترمذي، ص 928.

4- رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، رقم: 1496، فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج 3، ص 449-450.

تفشى الظلم الاجتماعي في الدول الإسلامية واندرج في السلوك العادي اليومي، ولم يعد يسمى باسمه، بل ربما مورس باسم فعل الخير وانتظار الثواب منه ولا يشعر به إلا من ظلم.

في المؤسسات الإدارية والصحية مثلا الأولوية للقريب والصاحب، وربما لمنتمي "العرش" ويؤخذ مكان صاحب الحق ولا حرج في ذلك، فهذا لا يعتبر من الظلم بل هو من الشطارة والأنفة، بل هو من فعل خير. فإذا أصيب أحد منهم بوبال أو مصيبة تهز كيانه، قال عليّ بصبر أيوب فإني قد أفنيت حياتي في خدمة المجتمع ويتذكر دعوات الذين نفعهم على حساب غيرهم، وينسى بالمقابل دعوات الذين ظلمهم.

كثير من المسلمين لا يرتكبون الظلم الصريح، ولكن قد يرتكبونه عادة خوضا مع الخائضين تحت غطاء من انتماءات طائفية، دولية أو ربما دينية مذهبية، والله قد حرم الظلم على الإنسان بعمومه حتى مع الكافر الجاحد، وبعض من المسلمين يرى أن ما يعمل من خيرات تقربه من الله تسمح له بارتكاب بعض المظالم التي يستهين بها، يقول الشيخ البوطي: « إن الله يكره الظلم إذ يشيع في أي مجتمع من المجتمعات، وإن كان الظالمون فيها مسلمين، وذلك أن الله جل جلاله لا يرضى أن يكون إسلام المسلمين من عباده شفيعا لهم في ارتكاب الظلم واستلاب حقوق الآخرين، وبعبارة أخرى تعالى ربنا وتنتزه عن أن يرشوه مسلم بإسلامه في مقابل أن يصفح عما قد يرتكبه من المظالم في حق الآخرين »<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: الضرّ عقاب للظالمين على مستوى الأمم والمجتمعات

من مقاصد إهلاك الأمم والمجتمعات استئصال الظلم، وآيات كثيرة دلت على سنة هلاك الأمة بظلمها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾<sup>3</sup>، « وكلمة (لما) ظرف يدل على وقوع فعل لوقوع غيره مما هو سبب له، وهذا يدل على وقوع هلاك الأمة لوقوع سببه وهو الظلم ... ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾<sup>4</sup>، إن الدولة الكافرة قد تكون عادلة، بمعنى أن حكامها لا يظلمون الناس، والناس أنفسهم لا يظالمون فيما

1- من سنن الله في عباده، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص 64.

2- سورة الأنعام: 47

3- سورة يونس: 13

4- سورة هود: 117

بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى، إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط، ولكن إذا انضم إلى كفرها ظلم حكامها للرعية وتظالم الناس فيما بينهم، وبهذا قال المفسرون وأهل العلم<sup>1</sup>.

ومن نماذج العقاب الدنيوي على ظلم الناس، إغراق فرعون وجنوده لما طغوا وأكثروا الفساد والقتل: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا<sup>2</sup>، أي في حال بغى واعتداء وظلم<sup>3</sup>.

### نماذج من الظلم في الواقع:

تفشى فساد القضاء في البلدان العربية حتى أضحى الشباب الطاهر البريء يخاف امتهان سلك القضاء خوفا على عاقبته، فبعض القضاة ترسخت أرجلهم في التعامل بالرشاوى، فشكّلوا لذلك شبكة علاقات اجتماعية، مبنية على تبادل مصالح ومنافع، تتكون هذه الشبكة من مجموعة من أصحاب النفوذ تؤمّن الحماية لسلوك الدروب الخطيرة عند تقاطع المصالح مع غيرهم من الواصلين، حتى تشكلت مقاطعات بحدودها. ومجموعة أخرى هم الوسطاء القذرون ينيبونهم في تعاملاتهم الماكرة، وهم قابعون في بروجهم موقرون، وتأسست مصطلحات شعوبية يعرفها الخاص والعام بعيدة عن التصريح، ظاهرها نصرّة المظلوم وفعل الخير والرجولة، تكسوها حُلة من المرح الخبيث.

استسلم الناس لهؤلاء الفاسدين لطول مكوثهم، وما كانوا لولا وجود ضعاف القلوب الذين رضوا بالتعامل معهم فهم يخشونهم كخشية الله أو أشد خشية، ومما أمكنهم من التربع على عروشهم سكوت جمهور زملائهم بالرغم من نزاهتهم وكثرتهم.

وإذ أتحدث عنهم كعينة من نماذج الظلم بين العباد ليس لتخصيصهم بالظلم من بين سائر فئات المجتمع، لكن أتحدث عنهم لخطورة جرمهم لا لأنفسهم وأهلبيهم - المهددة بأبشع الأسقام وعظيم الآلام وفي أقرب الآجال-، لكن الأدهى والأمرّ أن ظلمهم من الأسباب المباشرة لزوال الأمم وخراب البلدان.

ومن مظاهر الظلم التي انتشرت بين المجتمعات ما يقع من ظلم وقت الفتن، والنعرات بين المسلمين، إذ يسول لهم الشيطان أن كل التصرفات مسموحة، فيأتي أفراد من طائفة (أ) فيعتدون ويكون الرد من الطائفة (ب)، وهكذا تنطلق المتتالية، ثم يكون الاعتداء والظلم على الحرمات الآمنة لمجرد

1- السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص 120-122

2- سورة يونس: 90

3- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج11، ص45

انتمائهم للطائفة المناوئة، بغض النظر عن أنهم أفسدوا أم لم يفسدوا، رضوا أم لم يرضوا، والأدهى والأمر أن يتخذ ذلك شريعة من الله ويُلْبَس الظلم والغضب والاعتداء حلة الجهاد في سبيل الله.

إن الدفاع عن النفس واجب عرفاً وشرعاً، لكن أن يفضي ذلك إلى الظلم، أو المبالغة في القصاص، فإن ذلك لم يأذن به الله.

ثم يقال هذا ابتلاء لتمحيصنا حتى يظهر المجاهد من الجبان.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (39) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) وَلَمَنْ اتَّصَرَ بِعَدُوِّهِ ظَلَمَهُ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿<sup>1</sup>

يقول الإمام القرطبي: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ أي إذا نالهم ظلم لم يستسلموا لظلمه.

قال ابن العربي: ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن المجرم في موضع آخر في معرض المدح، فاحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى حالتين:

أحدهما أن يكون الباغي معلناً للفجور وقحا في الجمهور مؤذياً للصغير والكبير، فيكون الانتقام منه أفضل، الثانية أن تكون الفلته، أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسأل المغفرة، فالعفو هنا أفضل.<sup>2</sup>

ويقول الإمام الشوكاني في تفسير الآية: قال النخعي كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم، فيجتري عليهم السفهاء، ولكن هذا الانتصار مشروط بالانتصار على ما جعله الله له وعدم مجاوزته ﴿وَجَزَاءُ

سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فبين سبحانه أن العدل في الانتصار فهو الاقتصار على المساواة، وقال مقاتل والشافعي وأبو حنيفة وسفيان: إن هذا خاص بالمجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره... ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة من محبته التي هي سبب الفوز والنجاة فقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي

المبتدئين بالظلم قال مقاتل: يعني من يبدأ بالظلم.<sup>3</sup>

1- سورة الشورى: 39-43

2- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج8، 489.

3- فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج21، ص 1133.

### خلاصة الفصل:

في هذا الفصل أظهرت مدى تصاريف الله في الضرّ، لتحقيق عدالته في خلقه أولاً، وإقامة عدالته سبحانه بين عباده ثانياً.

فالإظهار الأول لآبد من فهم حقيقة الحياة الدنيا، وسر وجود الإنسان فيها، والمقصد من ذلك، ثم ذكرت الفوائد من هذا الفهم، خاصة في مواجهة الضرّ وآلامه، ثم عمدت إلى تقرير الجزاء الدنيوي، والضرّ والعقاب المترتب على سوء الأعمال.

وأما الشق الثاني فبيّنت فيه دور الضرّ الدنيوي قصد إقامة العدل وتطبيق القصاص بين المتظالمين، فإن ذلك صائر لا محالة، وإن خفي على الناس، بسبب تنوع الضرّ أو بسبب تأجيله.

# الفصل الثاني

مقصد ابتلاء المؤمنين بالضرّ

## المبحث الأول: الابتلاء مكانته وتصنيفه:

كل مسلم يعلم علم اليقين مكانة الصلاة والصيام في الإسلام، ومكانة الإيمان باليوم الآخر..، وأي إنكار أو إخلال بهذه الأركان معروف المأل. أما إذا سألنا عن الابتلاء فهو حديث العام والخاص، ولكلّ فيه نصيب، ولكن لا يخلو من ضبابية وإشكالات ظاهرة أو باطنة.

وفي قراءة تدبرية للقرآن الكريم نجد الابتلاء - بمعنى الاختبار - هو لب الوجود الإنساني في هذا الكون، ومفتاح مآله في دار البقاء؛ وكل الأمور التشريعية التي فصلّ فيها العلماء الأجلاء من حلال وحرام، ومنسوب ومكروه... لا تخلو من تزكية للنفس وتدريب لها، لخوض تلك الاختبارات، وتبقى نتائج تلك الابتلاءات هي التي ترفع الإنسان مراتب السمو لتُفضي به إلى السعادة أو تُفضي به إلى دركات الشقاوة. كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾<sup>1</sup>

فمثلا في واقعنا المعيش، امتحان الشهادة هو امتحان محوري، ودونه امتحانات كثيرة ليتشرح لنيل تلك الشهادة، وكل ما يقوم به الطالب طوال السنين لا يغدو إلا أن يكون استعدادا لخوض ذلك الامتحان، وعلى نتائجه يتحدد مصيره في عالم الأسباب.

فالإنسان في هذه الدنيا معرض في كل حين لاختبارات إلهية، فإذا غفل عن هذه الحقيقة، دخل امتحانا ليس في الحسبان وخاضه باستهتار وبلامبالاة، غافلا عن النتائج والمآلات، مثله كمثل رجل مؤمن صحيح الاعتقاد مقيم للفرائض مجتنب للكبائر... ابتلي بفتنة طائفية أصيب فيها بضراء فاعتمد الحمية سلوكا ومذهبا، فقتل مؤمنا مثله، ظلما بغير حق، فهل كان يعلم أن تلك الأحداث كانت اختباراتا للإيمان، وتمحيصا للمؤمن؛ هل يجاري هواه، أم يقف عند حدود الله؟ يرضي طائفته أم يرضي ربّ الطائفة؟

وللاستدلال على مركزية الابتلاء، وأتّه المحور الذي تدور حوله أحداث العالم، والوجود الإنساني، رأيت أن نتناوله في مطلب مستقلّ.

1- سورة هود: 105.

## المطلب الأول: مكانة الابتلاء في الشريعة الإسلامية

### أولاً: الآيات الدالة على محورية الابتلاء

#### 1- الصبر على الضرّ مقرون مع أصول الإيمان وأركان الإسلام:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۗ﴾<sup>1</sup>

يقول الإمام فخر الدين الرازي: « البر اسم جامع للطاعات، وأعمال الخير المقربة إلى الله تعالى، ومن هذا برّ الوالدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾<sup>2</sup>، فجعل البرّ ضدّ الفجور... وقال من الأمور المعتمدة في تحقق ماهية البرّ قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾<sup>3</sup>...

وقال أما قوله: "في البأساء" قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الفقر، وهو اسم من البؤس، "والضراء" قال: يريد به المرض، "وحين البأس" قال يريد القتال في سبيل الله والجهاد، ومعنى البأس في اللغة الشدة. وقال: قال الواحدي رحمه الله: هذه الواوات في الأوصاف في هذه الآية للجمع، فمن شرائط البرّ وتام شرط البار أن تجتمع فيه هذه الأوصاف، ومن قام به واحد منها لم يستحق الوصف بالبرّ<sup>4</sup>.

وقال الشيخ ابن عاشور: « ونفي البرّ عن استقبال الجهات مع أنّ منها ما هو مشروع كاستقبال الكعبة: إما لأنه من الوسائل لا من المقاصد، فلا ينبغي أن يكون الاشتغال به قصارى همة المؤمنين... ولذلك أسقطه الله عن الناس في حال العجز والنسيان وصلوات النوافل على الدابة في السفر، ولذلك قال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ

1- سورة البقرة: 177.

2- سورة الإنفطار: 13-14.

3- سورة البقرة: 177.

4- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (544-604هـ)، دار الفكر - دمشق، ط 1، 1401هـ-1981م، ج3، ص37.

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ أَهَمِّ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَفِيهِ جَمَاعٌ صِلَاحِ النَّفْسِ وَالْجَمَاعَةِ».<sup>2</sup>

## 2- المقصد من خلق السموات والأرض هو الابتلاء

يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٣﴾ .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٤﴾ ۗ

يقول الامام الإمام فخر الدين الرازي: « اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ يقتضي أنه تعالى خلق السموات والأرض لابتلاء المكلف.

ويقول: اعلم أنه تعالى لما بين أنه خلق هذا العالم لأجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم، فهذا يوجب القطع بحصول الحشر والنشر، لأن الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسيء بالعقاب».<sup>5</sup>

ويقول الشيخ ابن عاشور، « قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾ واللام للتعليل...»<sup>6</sup>

## 3- المقصد من خلق الحياة والموت هو الابتلاء:

يقول تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٧﴾ ۗ

1- سورة البقرة: 177

2- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج2، ص128

3- سورة الكهف: 7

4- سورة هود: 7.

5- تفسير الفخر الرازي، ج17، ص، 195.

6- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج 12، ص 7.

7- سورة الملك: 1- 2.

يقول الشيخ ابن عاشور: « وفي الكلام تقدير: هو الذي خلق الموت والحياة لتحيا فيبلوكم أيكم أحسن عملا، وتموتوا فتجزوا على حسب تلك البلوى، ولكون هذا هو المقصود الأهم من هذا الكلام قدّم الموت على الحياة... واللام في ليلوكم "لام التعليل"، أي خلق الموت والحياة حكمة أن يبلوكم... وتعليل فعل بعلة لا يقتضي انحصار علله في العلة المذكورة، فإن الفعل الواحد تكون له علل متعددة فيذكر منها ما يستدعيه المقام<sup>1</sup>.»

#### 4- المقصد من تعدد الأهم والشرائع هو الابتلاء:

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾<sup>2</sup>.

يقول الإمام الطبري: « يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم لجعل شرائعكم واحدة، ولم يجعل لكل أمة شريعة ومنهاجا غير شرائع الأمم الأخرى ومنهاجهم... ولكنه تعالى ذكره يعلم ذلك، وخالف بين شرائعكم ليختبركم، فيعرف المطيع منكم من العاصي، والعامل بما أمره في الكتاب الذي أنزله إلى نبيه ﷺ من المخالف<sup>3</sup>.»

#### 5- المقصد من الاستخلاف في الأرض والتفاوت بين الخلق هو الابتلاء:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾<sup>4</sup>

وأما قوله ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ فإنه يعني: ليختبركم فيما خولكم من فضله، ومنحكم من رزقه، فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصي...<sup>5</sup>.

1- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج12، ص 14-15.

2- سورة المائدة: 48.

3- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)، تحقيق:

د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر- القاهرة، ط 1، 1422هـ-2001م، ج 8، ص 498-499.

4- سورة الأنعام: 165.

5- تفسير الطبري، ج 10، ص 51.

## ثانياً: العلاقة بين الابتلاء والعبودية

من المعروف عند العلماء، وعامة المسلمين أن الإنسان ما خُلق إلا للعبادة لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>1</sup> فإن كان للابتلاء هذه المركزية في المقصد من خلق الإنسان وما يحيط به من ملكوت، فما علاقته بالعبادة التي هي، أيضاً، الغاية من خلق الثقلين؟

### - تعريف العبودية:

**لغة:** إظهار التذلل؛ والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الأفضل وهو الله تعالى.<sup>2</sup>

**اصطلاحاً:** والعبادة في الشرع أخص، فتعرف بأنها فعل ما يرضي الرب من خضوع وامتنال واجتتاب.<sup>3</sup>

فإذا حصرنا معنى الابتلاء في الاختبار كما بيّنا سابقاً، وحصرنا معنى العبودية في العبودية الطوعية<sup>4</sup>، نجد أن الابتلاء بنوعيه التكليف والامتحان بالخير والشر يقارب معنى العبادة، ويشمل معاني العبادة التي ذكرها الشيخ ابن عاشور من الخضوع والامتنال والاجتتاب، وإذا أخذنا الابتلاء بالمعنى المتعارف عليه، أي بالنوع الثاني، والمقصود من الآية ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾<sup>5</sup>، فإن ذلك يقابل شطر الخضوع المذكور في تعريف العبادة، وسنجد هذا المعنى في تناولي لمقصد العبودية.

ومهما كانت العلاقة من تواز أو احتواء أو اندماج ... فلا تعارض في مركزية المعنيين، أي « أنه لا تعارض بين الغايتين اللتين ربط بهما خلق الإنسان غاية الابتلاء وغاية العبادة، وأن كلا

1- سورة الذاريات: 56.

2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الإمام الراغب الأصفهاني، مادة عبد، ص 357

3- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، تفسير إياك نعبد وإياك نستعين ص 180

4- ينظر: فتح القدير، الإمام الشوكاني، تفسيره آية ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون، ( قيل هذا خاص في من سبق في علم الله سبحانه أنه يعبد، فهو عموم مراد به الخصوص. قال الواحدي: قال المفسرون هذا خاص لأهل طاعته، يعني من أهل من الفريقين، قال وهذا قول الكلبي، والضحاك، واختيار الفراء وابن قتيبة)، ج7، ص 409..

5- سورة الأنبياء: 35.

منهما لا بد منه، فلا يمكن استغناء إحدى الغائتين عن الأخرى»<sup>1</sup>.

**وخلاصة القول:** أن من مقاصد الابتلاء بالنسبة للمؤمن هو البرهان على عبوديته لله عزّ وجلّ، بمعنى الخضوع والاستسلام له. والهروب من لهب الابتلاء لا يكون إلا تحت ظل العبودية لله.

### المطلب الثاني: تصنيف الابتلاء

من حكمة الله تعالى أن جعل مواد الاختبار كثيرة ومتنوعة، وهذا ظاهر جلي في القرآن الكريم والحياة اليومية.

هذا المطلب قد تم تفصيله وتحليله في كثير من الكتب التي تناولت الابتلاء، وهو ليس المقصد في البحث، ولكن ذكره يعطينا نظرة شمولية وتوضيحية لتصنيف المقاصد من الضرر، وسأذكر باختصار أهم ما وجدته.

### أولاً: تصنيف الابتلاء

قسّم العلماء الابتلاء إلى نوعين: ابتلاء بالأمر والنهي\*، وابتلاء بالنعم والمصائب. وهناك من العلماء من فرق بين الابتلاء بالنعم والابتلاء بالمصائب لتصبح ثلاثة.

يقول الله تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>2</sup>

يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره القيم لهذه الآية: «الابتلاء لا يتحقق إلا مع التكليف، فالآية دالة على التكليف، وتدل على أنه سبحانه وتعالى لم يقتصر بالمكلف على أمر ونهي، وإن كان فيه صعوبة، بل ابتلاه بأمرين:

- أحدهما ما سماه خيراً، وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من المرادات.
- والثاني ما سماه شراً وهو المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين.

1- الابتلاء في القرآن الكريم، محمد بن عبد العزيز لحمادي الرحالي، ص36.

\*- نجد في سورة النمل صورا واقعة من شكر سليمان عليه السلام من خلال معاملته مع جنده لمن أراد أن يتدبرها تلهمنا مدى شعوره بمنة الله عليه.

2- سورة الأنبياء: 35

فبين تعالى أن العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لكي يشكر على المنح، ويصبر في المحن، فيعظم ثوابه إذا قام بما يلزم<sup>1</sup>.

من نماذج الابتلاء المذكورة في القرآن حسب الأنواع:

### 1- الابتلاء بالتكليف:

مثال ذلك تكليف الرسل بالرسالات، وما يحمل ذلك من مشقة وجهد، وتكليف المؤمنين بالجهاد القتالي فلبوا فكان لهم أحسن الجزاء؛ ومنهم من تخلف، وقد ورد ذمهم في القرآن الكريم. وكثير ممن كتبوا في هذا المجال يسمى هذا الباب: الابتلاء في سبيل الدعوة إلى الله.

### 2- الابتلاء بالنعيم:

- الابتلاء بالملك والمال، مثال ذلك سيدنا سليمان عليه السلام الذي كان من الشاكرين. وفي المقابل قارون الذي لم يشكر فكان ماله الخسران، ومثاله الذي عاهد الله على أن يصدق إن آتاه الله مالا، ثم بخل وتولى المذكور في سورة التوبة: ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾<sup>2</sup>

- الابتلاء بالعلم ومثال ذلك الرسل الذين وفوا، وعباد الله الصالحين أمثال: سيدنا ذي القرنين والخضر.

ومثال الذي لم يوفّ فكان من الغاوين مذكور في سورة الأعراف: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾<sup>3</sup>.

1- تفسير الفخر الرازي، ج 69

2- سورة التوبة: 75-78

3- سورة الأعراف: 175

### 3- الابتلاء بالضرر:

وبحثنا يتعلق بهذا النوع من الإبتلاء؛ ويكون خاصا مثال ذلك ما أصاب سيدنا أيوب ويونس عليهما السلام. وعاما مثل الضر الذي أصاب قوم فرعون.

#### ثانيا: اختصاص المؤمنين دون غيرهم بهذا النوع من الابتلاء

إن الذي لم يترشح لنيل الشهادة لا معنى لإجراء الاختبار عليه، كذلك الكافر الذي لا يقرب لعبوديته لله، وليس معه عهد، لا يمسه هذا النوع من الابتلاء بمعنى الامتحان لإظهار المسيء من المحسن كما مر علينا في تفسير آية: ﴿وَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِنَّا تُرْجِعُونَ﴾<sup>1</sup>.

يقول فيها الإمام فخر الدين الرازي: الابتلاء لا يتحقق إلا مع التكليف، فالآية دالة على التكليف.

فالمؤمن قد أخذ على نفسه عهدا مع الله عندما نطق بالشهادتين، وبدخوله الإسلام فقد فهم واعتقد أن الله عز وجل وعده أن يحييه في دار البقاء إذا ما هو وفى بعهده واجتهد في دار البلاء ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾<sup>2</sup>.

أما الكفار فالضر الذي يلحق بهم مصنف من حيث المقاصد في غير هذا النوع.

#### ثالثا: الحكمة من تخصيص الضر للبعض والنعمة للآخر:

**تساؤل:** في ظلمة الليل والناس ينعمون في حساباتهم قد يتساءل المريض وهو برفقة ألمه، وربما مع وسوسة من شيطانه، لقد علمت أن الابتلاء يكون بالخير والشر، لكن لماذا اختار الله لي هذا القدر من الابتلاء واختار للآخرين الخير لابتلائهم؟.

من رحمة الله بعباده أن يغمرهم بالنعمة ظاهرة وباطنة، وأن يبتليهم بالضر من حين لآخر، ولكن من فطرة الإنسان الجحود عند إصابته بمصاب لا يتذكر الخير الذي كان عليه والنعمة التي مازال فيها ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ﴾<sup>3</sup>، وهذا الإنساء من اختصاص الشيطان ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾<sup>4</sup>.

1- سورة الأنبياء: 35

2- سورة البقرة: 40

3- سورة النحل: 18

4- سورة الأعراف: 17

ومع ذلك بعض المصابين بأمراض مزمنة أو خطيرة يلح عليه التساؤل السابق فيجيبه الشيخ البوطي رحمة الله عليه بقوله: « وأما كيفية التوزيع أي ما قد يصيب كلا منهم من أنواع هذه المحن والابتلاءات مما قد لا يصيب الآخر، فتقوم على حكمة باهرة تتصل بالمعنى التربوي الذي يأخذ به الله تعالى عباده.

فإن بلاء الفقر قد يكون العلاج المفيد بالنسبة لحال بعض الناس مع الله، ويكون الداء الوبيل بالنسبة لبعض آخرين، وقد يكون استمرار الصحة عنصر بغي وشر بالنسبة لجماعات من الناس، على حين يكون هذا الاستمرار نفسه وسيلة خير واستقامة بالنظر لآخرين ... بقطع النظر عن موافقته لأهواء الناس أو عدم موافقته إياها، والله تعالى يقول: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>1</sup>

ويقول رسول الله ﷺ: ((أن الله ليحمني عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه))<sup>2</sup> وإذا أدركت أن الأمر كذلك، فلا تتهم ربك فيما يسوسُ به عباده من ألوان الفتن والابتلاء وسواء ألاح لك وجه الحكمة في بعض منها أو خفي عنك فاعلم أن الله حكيم لا يضع الأمر الذي يختاره إلا في المكان الذي لا يصلح فيه غيره.<sup>3</sup>

#### - ليس في ابتلاء الإنسان بالخير والشر تكريماً له أو إهانة

كثير من الناس يعتقد أن ما أصابه في بدنه أو ماله ناتج عن عدم رضا الله عنه، أو في ما أكرمه بما يشتهي وينشد رضا منه عنه، وهذا الاعتقاد مغروس في نفس الإنسان بما ألف في تعاملاته اليومية.

بينما نجد في كثير من الآيات نفي ذلك الاعتقاد في تعاملات الله مع عباده، يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا... ﴾<sup>4</sup>.

1- سورة البقرة: 216

2- وجدته في المستدرک على الصحيحين بهذه الرواية: ((إن الله - تعالى - ليحمني عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه))، باب الأطعمة والرفائق، رقم: 7540، ص 293.

3- عدالة الله، الشيخ البوطي، المكتبة الشاملة (إلكترونية)، ص 116-117. تاريخ التحميل: 2017/04/10م.

4- سورة الفجر: 15-16.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات: « يقول تعالى منكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسّع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان.. »

وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما زعم في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيرا بأن يصبر<sup>1</sup>.  
وهذا يقودنا إلى الكلام عن حقيقة الدنيا وقد أفردت له مطلباً خاصاً في الفصل الأول، المبحث الأول: الضرّ وعدالة الله في تعامله مع خلقه.

---

1- تفسير القرآن العظيم، الإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل عمر ابن كثير الدمشقي، علق عليه: محمد حسنين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1419هـ-1998م، ج 9، 388.

## المبحث الثاني: مقصد الاختبار والامتحان لغرض التمييز

مثال: مدير مؤسسة اتهم بالاختلاس من طرف عناصر لم يسايرهم في الفساد، رفعت عليه قضية، وكان الحكم ضده، فنصح به بعض المقربين باستعمال أسلوب الرشوة، لأن الأحوال تفرض عليه ذلك وإن الحق معه.

فهل تيقن أن هذا اختبار له ليرى مكانة الكلمة التي يرددها كل يوم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>1</sup> ؟

### المطلب الأول: تحديد مدلولات الاختبار والامتحان والتمييز

إن اللفظ في اللغة يحتمل دلالات عدة، سأحاول الاختيار من بين المعاني المدلول المعبر لهذا المقصد.

- **الاختبار**: خَبَر: خَبَرْتُ الأَمْرَ أَخْبَرُهُ إِذَا عَرَفْتَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ. الخابر: المَخْبِرُ المَجْرَبُ - والخبرة: الاختبار والخبير: العالم<sup>2</sup>

- **الإمتحان**: الخبرة وقد امتحنه وامتحن القول نظر فيه ودبره<sup>3</sup> ؛ المَحْنُ والامتحان نحو الابتلاء نحو قول تعالى: ﴿فَامْتَحُونَهُنَّ﴾<sup>4</sup> .<sup>5</sup>

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿فَامْتَحُونَهُنَّ﴾ قيل أنه كان من أرادت منهن إضرار زوجها فقالت سأهاجر إلى محمد ﷺ، فذلك أمر ﷺ بامتحانهن، واختلف فيما كان يمتحنهن به.

- **التمييز**: الميز والتمييز الفصل بين المتشابهات، يقال مازه يميزه ميزا، وميَّزه تمييزا.

في الآية 179 من آل عمران قُرئ حتى يُمَيِّزَ بالتشديد من مَيِّز وكذا في "الأنفال" وهي قراءة حمزة. والباقون "يميز" بالتخفيف من ماز يميزُ قال أبو معاذ مزت الشيء أميز ميزا إذا فرقت بين شيئين، فإن كانت أشياء قلت: ميزتها تمييزا.<sup>6</sup>

1- سورة الفاتحة: 5.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة خير، مج 4، ص 226.

3- المصدر نفسه، مادة محن، ص 400.

4- سورة الممتحنة: 15

5- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 518.

6- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج5، ص 436

الفرق بين الفتنة والاختبار: أن الفتنة أشد الاختبار وأبلغه، واصله عرض الذهب على النار لتبيين صلاحه من فساد<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: الامتحان قصد التمييز سنة ربانية

هل الدخول في الإسلام قولاً وانتساباً وحده كافٍ لتقرير مآلنا يوم الحساب ؟

كثير من الآيات تبين لنا أنه بعد قبول الإنسان المسلم التشريع سوف يُمتحن بأنواع من العقبات حتى يبرهن عملاً على ما كان يظهره قولاً وإقراراً، وهذه سنة لا تتخلف. والقرب من الله درجات ومراتب، وحتى تنتقل من مرتبة لأخرى لا بد من اختبار.<sup>2</sup>

يقول الله تعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>3</sup>

يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآيات: « الفوائد المعنوية وهي أن المقصود الأقصى من الخلق العبادة والمقصد الأعلى في العبادة، حصول محبة الله ... لكن للقلب ترجمان وهو اللسان، ولللسان مصداقات هي الأعضاء، ولهذه المصداقات مزايا، فإذا قال الإنسان آمنت باللسان فقد ادعى محبة الله في الجنان، فلا بد له من شهود، فإذا استعمل الأركان في الإتيان بما عليه بنیان الايمان حصل له على دعواه شهود مصداقات... وفي قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ وجوه، الأول: قول مقاتل فليرين الله، الثاني: فليظهن الله، الثالث فليميزن الله.<sup>4</sup>

يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>5</sup>

1- الفروق في اللغة، الإمام أبو هلال العسكري، ص 217

2- ينظر للتفصيل، تفسير الفخر الرازي في الآية: 2، سورة العنكبوت، ج 25، ص 29.

3- سورة العنكبوت: 1-3

4- تفسير الفخر الرازي، ج 25، ص 30.

5- سورة آل عمران: 179

يقول الإمام القرطبي: «... وقيل الخطاب للمؤمنين، أي وما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق، حتى يميّز بينكم بالمحنة والتكليف، فتعرفوا المنافق الخبيث، والمؤمن الطيب، وقد ميّز يوم أحد بين الفريقين، وهذا قول أكثر أهل المعاني.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ يا معشر المؤمنين، أي ما كان الله ليعين لكم المنافقين حتى تعرفوهم، ولكن يُظهر ذلك بالتكليف والمحنة، وقد ظهر ذلك في يوم أحد، فإن المنافقين تخلفوا وظهروا الشماتة<sup>1</sup>.

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا وَالضَّرَّاءُ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>2</sup>.

يقول الإمام الشوكاني: «أي أحسبتم دخولكم الجنة واقعا، ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم، فتصبروا كما صبروا»<sup>3</sup>.

يقول تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>4</sup>.

نجد في تفسير ابن كثير: «... وتكون اللام معللة لما جعل الله للكافرين من مال ينفقونه في الصد عن سبيل الله، أي إنما أقدرناهم على ذلك ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين، أو يعصيه بالنكول عن ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ...﴾<sup>5</sup>.

1- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج5، ص 436.

2- سورة البقرة: 214

3- فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج2، ص 138

4- سورة الأنفال: 37

5- سورة آل عمران: 166-167

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>1</sup> .<sup>2</sup>

ونجد هذا المقصد جليا في آيات الجهاد وبالأخص المذكورة في السور الأربع: آل عمران - النساء - التوبة والأحزاب.

والعديد من كتب الابتلاء فصلت في هذه المعاني العظيمة في باب: الابتلاء في الدعوة إلى الله

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>3</sup>.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>4</sup>

نجد في هذه الآية أن الله تعالى يؤكد على تفعيل سنة الابتلاء بمعنى الاختبار، يقول الإمام أبو زهرة في تفسيره للآية قاصدا المنافقين: «لقد اعتذروا بانتحال أعدار واهية، فأذن لهم النبي ﷺ وما كان له أن يحكم بطواهر ما يقولون، ولأنه لا فائدة في أن يكون في الجيش متخاذلين، يكون ذريعة للفشل في صفوفه، ولكن الله يعلم أنهم لن يخرجوا إذا لم يأذن لهم النبي ﷺ بالتخلف، فيظهر كذب أعدارهم، وينكشف أمرهم، ولذا عتب على رسوله .

إذ قبل عذرهم... في ألطف عبارة عتاب... وإن ذلك الإنكار كان لعدم الانتظار حتى تتبين حالهم الحقيقية وهو أنهم قاعدون»<sup>5</sup>، ولذا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>6</sup>

1- سورة آل عمران: 142

2- تفسير القرآن العظيم، الامام ابن كثير، ج 4، ص 48.

3- سورة التوبة: 16. وليجة: الرجل: بطانته وخاصته ودخلته، لسان العرب، مج 2، ص 400.

4- سورة التوبة: 43

5- زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط - د.ت)، مج 7، 3315.

6- سورة التوبة: 43

## المطلب الثالث: نماذج من الاختبار في القرآن الكريم

### أولاً: حادثة تحويل القبلة

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>1</sup>.

اختلف المفسرون في تفاصيل هذه الآية، لكن اتفقوا على أن هذه الحادثة كانت اختباراً عسيراً لمن اتبع الرسول ﷺ هل يثبت على ذلك، أم ينقلب على عقبيه ويرتد.

ومكمن الاختبار هو أمر الله المسلمين اتخاذ بيت المقدس قبلة لهم. تجعلهم في صراع مع نفوسهم بين ميلهم لعصبيتهم، فقد كان للكعبة شأن عظيم في قلوب العرب، أم يسلمون لأمر رسولهم عليه الصلاة والسلام، وكانت النتيجة ثبات المؤمنين وارتداد بعض من المنافقين وضعاف القلوب<sup>2</sup>.

وقد بين الإمام فخر الدين الرازي مدى صعوبة هذا الاختبار، فقال: «أما في قوله تعالى: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ فالمعنى لتقيلة مستكرة كقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾<sup>3</sup>، أي عظمت الفرية بذلك... ثم إذا قلنا الامتحان وقع بنفس القبلة، قلنا إن تركها ثقيل عليهم، لأن ذلك يقتضي ترك الإلف والعادة، والإعراض عن طريقة الآباء والأسلاف، وإن قلنا: الامتحان وقع بتحريف القبلة قلنا: إنها لتقيلة من حيث أن الإنسان لا يمكنه من أن يعرف أن ذلك حق إلا بعد أن عرف مسألة النسخ، وتخلص عما فيها من السؤالات، وذلك أمر ثقيل صعب إلا على من هداه الله تعالى حتى عرف أنه لا يستتكر نقل القبلة من جهة إلى جهة، كما لا يستتكر نقله إياهم من حال إلى حال في الصحة والسقم والغنى والفقر، فمن اهتدى لهذا النظر ازداد بصره، ومن سفه واتبع الهوى وظواهر الأمور ثقلت عليه هذه المسألة»<sup>4</sup>.

1- سورة البقرة: 143

2- هذا ما مال إليه الشيخ أبو زهرة في تفسيره زهرة التفاسير، ج2، ص44. وفي التفاسير وجوه عديدة، لكنه القبلة المقصودة.

3- سورة الكهف: 5

4- تفسير الفخر الرازي، ج4، ص 117

## ثانياً: قصة طالوت

هذه القصة المذكورة في سورة البقرة تبرز لنا مقصد التمييز والاصطفاء ليتم اجتناء القلة المؤمنة الصابرة الموعودة بالنصر، وذلك عبر اختبارات متصاعدة تبدأ بطلب من بني إسرائيل من نبيهم الإذن بالقتال، فلما استجيب لهم وكتب عليهم القتال، وكان هذا الاختبار الأول، تولوا إلا قليل منهم.

والاختبار الثاني كان في تعيين طالوت ملكا لهم فجاء الاعتراض من بعضهم، ولما انطلق الجند قال لهم طالوت أنّ الله مبتليكم بنهر، « وساعة تسمع كلمة "مبتليكم" فلا تفسرها على أنها مصيبة، ولكن فسرّها على أنها اختبار قد ينجح من يدخله وقد يفشل، والاختبار هنا بنهر ... ولا بد أنهم كانوا عطاشا، الذي يرى الماء ويمتنع عنه وهو في حاجة إليه، فهو صابرٌ قادرٌ على نفسه، وسيكون من جند الله لأنه آثر مطلوب الله على مطلوب بطنه ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾<sup>1</sup>.

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾<sup>2</sup> لقد خاف بعض منهم من الاختبار الأخير، ولكن الذين آمنوا بالله لم يخافوا، كأنهم أدخلوا ربهم في حسابهم فاستهانوا بعدوهم، لكن الفئة السابقة عزلت نفسها عن ربهما فرأوا أنفسهم قلة فخافوا.

وهكذا تتم التصفية وهذه غرابيل الاصطفاء ومصافي الاختبار، فقد يقوى واحد على نصف المشقة، ويقوى آخر على ثلث المشقة، ويقوى ثالث على ربعها، لقد بقي منهم القليل، لكنه القليل الذي يصلح للمهمة<sup>3</sup>.

ومن الفوائد العظيمة لهذا النوع من الاختبار أي اختبار الجماعة المسلمة أن الله يصفى الصف الإسلامي من العناصر الدخيلة، إذا أظهروا العزم على نصرته دينه حتى يؤهلهم للتمكين.

وهذا المعنى نجده جليا في هذه القصة، وفي حادثة تغيير القبلة، خاصة وأنها وقعت قبل غزوة بدر الكبرى بشهر لنفي العناصر الدخيلة التي هي مصدر الوهن والانهازم في الصف الإسلامي، كما

1- سورة البقرة: 249.

2- سورة البقرة: 249.

3- تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، راجعه وأخرج أحاديثه: أ.د. أحمد عمر هاشم، دار أخبار اليوم-

مصر، ط 1، 1991م، ص 1054.

يقول الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا خِلَالَكُمْ يُبَغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ...﴾<sup>1</sup>.

### ثالثا: نموذجان آخران:

- ثبات سحرة فرعون رغم حداثة إيمانهم بالله
- تحريم الصيد أيام الإحرام رغم أنه من مقاصد التكليف، إلا أنه يتجلى فيه مقصد الاختبار.

### المطلب الرابع: من أحوال المختبرين

لم أضع هذا المطلب لتطويل البحث، بل حاولت وضع إسقاط لواقعنا المعيش حتى نوطن أنفسنا على مراقبة انفعالاتنا النفسية والسلوكية.

### أولا: الارتداد عن الإيمان:

كثر الارتداد عن الإيمان في واقعنا المعيش لكن بدرجات متفاوتة من شخص إلى آخر، وأقصى درجاته الإلحاد والعياذ بالله، حكى لي زميل كان يتردد على مريض مسلم ذي علم وثقافة، ولما ضاقت عليه سبل العلاج، نصحه بالالتجاء إلى المولى عز وجل ففاجأه قائلا: لم أعد أعترف بهذا الإله. فالاختبار بالمرض قد يفضي أحيانا إلى الإلحاد؛ والحمد لله أن هذا نادر الحدوث لكن ما دونه كثير الحدوث.

يصاب أحدهنا بضرر فيتخذ الأسباب لدفعه ويدعو الله، ثم تتعسر عليه الأمور وتضيق والمحنة تطول وتزيد... فييأس من فرج الله، وربما يشك في تدخل الله في مصيبتة، وقد لا يصرح بذلك، لكن الله عالم بسريرته. وربما تحت وطأة البلاء واشتداده، ينفلت حبل التمسك، ويضعف التوكل والاعتماد عليه حين يبلغ به اليأس مداه، وينسيه الشيطان أن انتظار الفرج عبادة عظيمة عزيزة، وأن الفرج مع لحظة اليأس ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ﴾<sup>2</sup>.

1- سورة التوبة: 47. خبالا: الخبل: الفساد، لسان العرب، مج 11، ص 197.

2- سورة يوسف: 110.

ويزداد العبد تمسكا بالأسباب وحدها في هذه الحال؛ ولو أحسن التوكل على الله لكان خيرا له، ولكنه يخيب في اللحظات الأخيرة وهو على مرمى البصر من الفرج؛ وقليل ما هم الذين يتوجون بجائزة الصابر المتوكل في خاتمة المطاف؛ لكن فقدان الثقة بالله، وتعظيمه لأشخاص يرى فيهم خيره وفرجه قد يضرّونه من حيث ينتظر نفعهم، ولربما أتى بما لا يرضي الله في سبيل الفرج.

فإذا أصيب أحدنا فليتخذ كل الأسباب المشروعة، مستصحا حسن التوكل وعظيم الثقة بفرج الكريات.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنِ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ ائْتَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمُؤَلِّىٰ وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ ۗ ﴾<sup>1</sup>.

يقول الإمام أبو زهرة عن الآية: « هذا صنف من الناس لا يدخل الإيمان قلبه إلى درجة الصبر على البلاء في إيمانه... "حرف" هنا هو الطرف، أي يعبد الله على طرف من الدين... أي طرف الإيمان، فلا يعبده عبادة من امتلأ قلبه بالإيمان، وذاق بشاشته، هذا تصوير لضعفاء الإيمان الذين اضطرب اعتقادهم، فكانهم يكونون على حرف مع الإيمان وهو أقرب إلى الكفر، فطرف الشيء هو الأقرب إلى ما يجافيه... وقد قالوا: أنها نزلت في بعض الأعراب. ﴿ فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾، أي أصابهم أمر يسرهم، وهو خير، اطمأنوا وسكنوا ﴿ وَإِنِ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ ﴾ أي شديدة فيها ابتلاء لإيمانه واختبار لنفسه، وتعرف لقوة إيمانه، ﴿ ائْتَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ ارتد بعد الإسلام. ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ معناها غير الله ف ﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾... ﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ ﴾ نجد هذه الآية تشير إلى أن الذي يدعو من العقلاء بدليل التعبير بـ (مَن) وتكون الدعوة بمعنى اللجوء والاستغاثة، أو الموالاة والنصرة والاعتماد عليه»<sup>2</sup>.

1- سورة الحج: 11-13.

2- زهرة التفاسير، الإمام أبو زهرة، مج 9، ص 4951-4953.

### ثانياً: الاعتراض على قدر الله:

والاعتراض ضد التسليم، والتسليم لا ينفى استنفاد الأسباب كما قال عمر رضي الله عنه: «نفر من قدر الله إلى قدر الله»<sup>1</sup>، والاعتراض صفة من صفات المنافقين والكفار، وجب على المسلم طردها إذا ما خالجت نفسه... وأحسن طارد لها استشعار قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾<sup>2</sup>.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ قَتِيلًا﴾<sup>3</sup>.

«ومعاذ الله أن يصدر هذا القول من صحابي كريم، يعلم أن الآجال محدودة، والأرزاق مقسومة... اللهم إلا أن يكون قائله ممن لم يرسخ في الإيمان قدمه، ولا انشرح بالإسلام جنانه، فإن أهل الإيمان متفاضلون، فمنهم الكامل، ومنهم الناقص»<sup>4</sup>.

يقول الدكتور زيدان: «ولا يجوز مطلقاً للعبد كائناً من كان أن يعترض على هذا الامتحان ولا على مفرداته ومواضعه، ولا على زمانه ومكانه ومدته، ولا أن يختار مفردات معينة لامتحانه... وإذا صدر من المسلم كان ذلك مناقضاً لإيمانه، بل ردة\* عن الإسلام والعياذ بالله، فليحذر المسلم ذلك»<sup>5</sup>.

### ثالثاً: الجهل وسوء الظن بالله

يقول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا ۗ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>6</sup>

1- رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون.

2- سورة النساء: 77

3- سورة النساء: 77

4- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج 6، ص 463.

\*- الحكم بالردة على المعترض دون تفصيل، فيه شدة على القارئ، فالاعتراض درجات، منها ما هو قلبي وتصريحي، وهذا قد يكون عن جهل وغفلة، وقد يكون عن علم وإصرار، ثم هناك الاعتراض الذي يتبعه عمل، وعندنا في قصة نوح مع ابنه عبرة عندما قال: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} سورة هود: الآية 45. أنظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج 11، ص 133-138.

5- السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص 95.

6- سورة الأحزاب: 11-12

ويقول تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۗ يَقُولُونَ لَوْ كَانِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ... 1.﴾

« كلمة أهتمهم مأخوذة من الهم، والهم ما يهيم به الإنسان، وما يحزنه، ومعنى ﴿أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، جعلتهم لا يجعلون لهم أمرا يهتمون به سواها، فلا يهتمهم شأن الإسلام، انتصر أو انهزم ... ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ والظن هنا ليس هو الاعتقاد الجازم، بل هو الوهم الملازم للضعف المسيطر على النفس .... ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ يلقون عن أنفسهم التبعة بتقرير أن أمر النصر بيد الله، وأنه قد حرمهم منه.

ثم يقول: وفي هذا يدعوهم رب البرية أن يستسلموا لحكمه، ويخضعوا لقدره، ويرضوا به، ويطمئنوا إليه، لأن الاطمئنان إلى القدر بعد أخذ الأسباب رضا بحكم الله وقبول لإرادته في خلقه، وعدم الرضا بالقدر تمرد على الخالق وانزعاج نفسي لا علاج له. 2

#### رابعاً: التحايل والكذب:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۗ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۗ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۗ 3﴾

▪ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ۗ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۗ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۗ 4﴾

1- سورة آل عمران: 154

2- زهرة التفاسير، الإمام أبو زهرة، مج 3، ص 1461.

3- سورة الأحزاب: 13

4- سورة آل عمران: 167

■ ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَنْتَبِهْ ۚ اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۗ ﴾<sup>1</sup>

### خامسا: الثبات والصبر والتسليم:

يقول تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۗ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ۗ وَمَا

بَدَّلُوا بُدِيلًا ۗ ﴾<sup>2</sup> . نزلت هذه الآية في حق شهداء أحد ومنهم مصعب بن عمير رضي الله عنه.<sup>3</sup>

---

1- سورة التوبة: 49

2- سورة الأحزاب: 23.

3- ينظر: فتح القدير، ج 21، ص 1164.

## المبحث الثالث: مقصد التطهير والتزكية وتكفير الذنوب

### تعريفات:

- **التطهير:** « الطهارة ضربان: طهارة جسم، وطهارة نفس، وتحمل عليها عامة الآيات: ﴿لَا يَسُئُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>1</sup>، أي أنه لا يبلغ حقائق معرفته إلا من طهر نفسه وتتنقى من درن الفساد»<sup>2</sup>.
- **التزكية:** « زكا: أصل الزكاة، النمو الحاصل عن بركة الله تعالى بزكاة النفس وطهارتها، يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وذلك بنسبة الزكاة تارة إلى العبد لكونه مكتسب لذلك، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>3</sup>، وتارة إلى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة نحو: ﴿بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾<sup>4</sup>، وتارة إلى النبي ﷺ، لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾<sup>5</sup>.<sup>6</sup>
- **تكفير:** « كفر: الكفر في اللغة ستر الشيء، وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها، والتكفير: ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يُعمل نحو: ﴿نُكْفِرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾<sup>7</sup>»<sup>8</sup>
- « والكفارة صيغة مبالغة من التكفير، وأصله التغطية والستر، والمعنى هنا أن ذنوب المؤمن تتغشى بما يقع له من المرض ... وأُسند التكفير للمرض لكونه سببه»<sup>9</sup>.

1- سورة الواقعة: 79

2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 344-345

3- سورة الشمس: 9

4- سورة النساء: 94

5- سورة البقرة: 151

6- المصدر نفسه، ص 238-239

7- سورة النساء: 31

8- المصدر نفسه، ص 485-487

9- فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج10، ص 129.

## المطلب الأول: تقرير مقصد التطهر والتزكية وتكفير الذنوب

في استقراء آيات الذكر الحكيم نجد أن معنى التطهير والتزكية، وحتى تكفير الذنوب المذكور في كثير من الآيات، وقد رتب الله تعالى على ذلك شروطاً، ومقدمات لنيل ذلك الفضل، مثال ذلك:

- الصدقة، في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾<sup>1</sup>.
- غض البصر، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ ﴾<sup>2</sup>.
- امتثال الأوامر الشرعية، في الطلاق مثلاً لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ ﴾<sup>3</sup>.

أما بالنسبة لتكفير الذنوب، فكانت الشروط مرتبطة بالمقاصد الكبرى للدين كالإيمان، والعمل الصالح والتقوى، واجتناب الكبائر، مثال ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾<sup>4</sup>.
- وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾<sup>5</sup>.
- وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾<sup>6</sup>.
- ولأهل الكتاب قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾<sup>7</sup>.

1- سورة التوبة: 103.

2- سورة النور: 30.

3- سورة البقرة: 232.

4- سورة محمد: 2.

5- سورة التغابن: 9.

6- سورة الطلاق: 5.

7- سورة المائدة: 65.

- واستجابة لدعاء أولي الألباب بتكفير ذنوبهم، يقول تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾<sup>1</sup>.
- واشترط اجتناب الكبائر في قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: تقرير مقصد تكفير الذنوب والتطهير بالمصائب والضر

مقصد تكفير الذنوب والتطهير من جراء الابتلاء والمصائب التي يصاب بها المؤمن نجده واضحا جليا في الصحيح من سنة المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام، والتي جاءت مفسرة ومبينة للقرآن الكريم. وأما الآيات القرآنية التي ذكرت هذا المعنى فقد استعملت مصطلح التمحيص وذكر ذلك في آيتين من سورة آل عمران تناولت موضوع الجهاد مع الكفار، فجعل الله ضر القتال تمحيصا لبعض المؤمنين، ومدلول التمحيص يقترب كثيرا من مدلول الاختبار.

« أصل التمحيص تخليص الشيء مما فيه من عيب كالفحص، لكن الفحص يقال إبراز الشيء من أثناء ما يختلط به، وهو منفصل عنه، والمحص يقال في إبرازه عما هو متصل به، يقال محصت الذهب ومحصته إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث، قال تعالى: ﴿وَلَيَبْلِيَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>3</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>4</sup>، التمحيص هاهنا كالتزكية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ، ويقال في الدعاء: اللهم محص عنا ذنوبنا، أي أزل ما علق بنا من ذنوب»<sup>5</sup>.

لما أنزل الله جلّ جلاله هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾<sup>6</sup> شقّ ذلك على كثير من الصحابة، وأقبل أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، فكل سوء عملنا

1- سورة آل عمران: 195.

2- سورة النساء: 31.

3- سورة آل عمران: 154.

4- سورة آل عمران: 141.

5- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 518.

6- سورة النساء: 123.

جزينا به؟ فقال له النبي ﷺ: ((غفر الله لك يا أبا بكر، ألسنت تمرض، ألسنت تتصب، ألسنت تحزن، ألسنت تصيبك اللأواء.)) قال: بلى، قال: ((فهو ما تجزون به))<sup>1</sup>.

كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ؓ قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغا شديدا، فقال رسول الله ﷺ: ((قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة يُنكبها، والشوكة يُشاكها))<sup>2</sup>.

**قول العلماء في الآية:** ذكر الإمام ابن حجر في فتح الباري باب ما جاء في كفارة المرض وقوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، «قال الكرمانى: مناسبة الآية للباب أن الآية أعم، إذ المعنى أن كل من يعمل سيئة فإنه يجازى بها، وقال ابن منير: الحاصل أن المرض كما جاز أن يكون مكفرا للخطايا، فكذلك يكون جزاء لها. وقال ابن بطال: ذهب أكثر أهل التأويل إلى أن معنى الآية أن المسلم يجازى على خطاياه في الدنيا بالمصائب التي تقع له فيها فتكون كفارة لها»<sup>3</sup>.

عن عبد الله ؓ قال: أتيت النبي ﷺ في مرضه وهو يوعك وعكا شديدا، وقلت: إنك لتوعك وعكا شديدا، قلت إن ذلك بأن لك أجرين، قال: ((أجل، ما من مسلم يصبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه، كما تُحات ورق الشجر))<sup>4</sup>.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: ((مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ، حَتَّى الْهَمِّ يُهْمُهُ، إِلَّا كَفَّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ))<sup>5</sup>.

1- رواه أحمد، رقم الحديث 65، مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1، (د.ت)، ص 21.

2- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم: 2574، صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام مسلم، ج 16، ص 196. قاربوا: أي اقتصدوا فلا تغلو ولا تقصروا بل توسطوا. سدّدوا: أي اقصّدوا السداد وهو الصواب. النكبة ينكبها: وهي مثل العثرة يعثرها. المصدر نفسه.

3- فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 129.

4- رواه البخاري، كتاب المرض، رقم الحديث: 0647، فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 138. حات: المعنى فنتت وهي كناية عن إذهاب الخطايا. الوعك: الحمى، وقيل ألم الحمى. المصدر نفسه.

5- رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ج 16، صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام مسلم، ص 197. الوصب: الوجع اللازم، ومنه قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ} أي لازم ثابت، النصب: التعب. يهّمه: أي يغمّه. المصدر نفسه.

### المطلب الثالث: شروط تكفير الذنوب

هناك شروط لتكفير نجلها فيما يلي:

- تكفير الذنوب بالمصائب يكون للمؤمنين خاصة لا لغيرهم كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة.
- يكون في صغائر الذنوب، ولا تكفر المصائب الكبائر، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾<sup>1</sup>، «أي إن تجتنبوا الكبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها ﴿نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي ذنوبكم التي هي من الصغائر، وحمل السيئات على الصغائر هنا متعين لذكر الكبائر قبلها، وجعل اجتنابها شرطاً لتكفير السيئات»<sup>2</sup>.

استدل الإمام القرطبي لهذا الحكم بحديث رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر))<sup>3</sup>، وأضاف القرطبي شرط إقامة الفرائض لتكفير الذنوب<sup>4</sup>، «وهذا مذهب الجمهور»<sup>5</sup>.

وقد اختلف العلماء في تحديد الكبائر، قال ابن عباس رضي الله عنه: الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، وقال جماعة من أهل الأصول: الكبائر كل ذنب رتب الله عليه الحد أو صرح بالوعيد فيه<sup>6</sup>.

«فقد تعاضد الكتاب وصحيح السنة بتكفير الصغائر قطعاً كالنظر وشبيهه، وأما الأصوليون فقالوا: لا يجب على القطع تكفير الصغائر باجتناب الكبائر، وإنما محمل ذلك على غلبة الظن، وقوة الرجاء، والمشية ثابتة، ودل على ذلك أنه لو قطع لمجتنب الكبائر وممتثل

1- سورة النساء: 31.

2- فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج5، ص 293.

3- رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام مسلم، ج 3، ص 148.

4- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج 6، ص 261.

5- فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 135.

6- ينظر: فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج 5، ص 293.

الفرائض تكفير صغائره قطعاً، لكانت له في حكم المباح الذي يُقطع بالألا تَبَاعَة فيه، وذلك نقض لعري الشريعة ولا صغيرة عندنا»<sup>1</sup>.

● المصائب لا تكفر الذنوب التي فيها مظالم للعباد. كثير من الآيات تبين أن الله تعالى يقبل من عباده التوبة، ويغفر الذنوب جميعاً، «وأما استثناء الذنوب التي تتطوي على هدر لحقوق العباد من هذه السنة الإلهية، فأساس ذلك الآيات الكثيرة التي تنهى عن ظلم العباد، وتحذر من التورط فيه... بل لابد لقبول التوبة من أن يعيد لصاحب الحق حقه أو مثله، أو أن يصفح عنه، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾<sup>2</sup> ... ومحل الشاهد في مثل هذه الآيات التي يحذر الله فيها من ظلم الناس والاستهانة بحقوقهم أنك لا تجد في الوعيد الذي تتضمنه استثناء للتائبين ... ويعبر علماء الشريعة الإسلامية عن هذه السنة والقيد الاستثنائي الذي فيها بقولهم: حقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة»<sup>3</sup>.

1- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج6، ص 262.

2- سورة النساء: 10 .

3- من سنن الله في عباده، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص 91-93.

## المبحث الرابع: الابتلاء بقصد الاجتباء والتكريم

هذه أشرف المراتب وأعلاها، أن يرى الله في عبده الاستعداد والقدرة على السمو، فيرتب له ابتلاء على مقاسه ممّا منه وفضلا وإكراما، وهكذا يرشحه لمرتبة أعلى، فيزداد قربا من الله الكريم المنان.

### المطلب الأول: تقرير مقصد التكريم بالابتلاء

#### أولا: بشرى للصابرين على المصائب

يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَبْلُوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>1</sup>، في هذه الآيات تأكيد من الله تعالى على إصابة المسلم بأنواع من الضر، ويرتب على ذلك الضرّ التكريم العظيم، بشرط الصبر، « دلت هذه الآية على أمور أحدها: أن هذه المحن لا يجب أن تكون عقوبات لأنه تعالى وعد بها المؤمنين من الرسول وأصحابه، وثانيها: أن هذه المحن إذا قارنها الصبر أفادت درجة عالية في الدين، وثالثها: أن كل هذه المحن من الله تعالى ... في فضيلة الصبر، قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا، وأضاف أكثر الخيرات إليه فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾<sup>2</sup>، وقال: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>3</sup>، وجمع للصابرين أمورا لم يجمعها لغيرهم فقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>4</sup>،<sup>5</sup>

1- سورة البقرة: 155-157.

2- سورة الأنبياء: 73.

3- سورة الزمر: 10.

4- سورة البقرة: 157.

5- تفسير الفخر الرازي، ج 4، ص 168-169

## ثانياً: سنة التداول واجتباء الشهداء

سنة التداول أو سنة التدافع بين الحق والباطل سنة إلهية أصيلة ومستمرة، وقد استتب العلماء كثيراً من الحكم والمقاصد من هذه السنة من بينها مقصد اجتباء وتكريم بعض المؤمنين.

الله تعالى قادر على أن يؤمّر علينا حاكماً عادلاً مؤمناً مثل ما وفق لذلك سيدنا عمر بن عبد العزيز، وهكذا يعم الخير والعدل، ويُقهر الشرّ والظلم؛ ولكن أراد الله غير ذلك فأعطى الفرصة وفسح المجال للظالم أن يظلم، وهو سبحانه لا يحب الظالمين، وكذلك أعطى الفرصة للمؤمن أن يتقدم ويرشح نفسه لنيل الشهادة، وهو مُحِبُّ للصابرين.

ولنا في عصرنا الحديث أرقى النماذج في شهداء الثورة التحريرية، والمقاومة الفلسطينية، فلولا ظلم اليهود لما نال الشهيد أحمد ياسين تلك المرتبة، « ولولا وجود الكفار لما حصلت عبودية الجهاد، ولما نال أهله درجة الشهادة، ولما ظهر من يقدم محبة فاطره وخالقه على نفسه وأهله وولده»<sup>1</sup>.

يقول الله تعالى: ﴿إِنْ يُمَسِّكُمُ فَتْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَتْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>2</sup>.

قال رسول الله ﷺ: ((من يُرد الله به خيراً يصب منه))<sup>3</sup>.

يقول الإمام ابن حجر "يصب منه" كذا للأكثر بكسر الصاد والفاعل الله، ويشهد للكسر ما أخرجه أحمد من حديث محمود بن لبيد رفعه: ((إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، وما جزع فله الجزع))<sup>4</sup> ... وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألم بسبب مرض أو همّ أو نحو ذلك مما ذكر، وإن الأمراض والأوجاع والآلام بدنية كانت أو قلبية، تكفر ذنوب من تقع له<sup>5</sup>.

1- شفاء العليل، الإمام ابن القيم، ج2، ص 161

2- سورة آل عمران: 140

3- رواه البخاري، كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم: 5645، فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج10، ص129.

4- رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم: 2396، صحيح الجامع، 285.

5- المصدر نفسه، ج10، ص 135.

## المطلب الثاني: نماذج من مقصد التكريم بالابتلاء

### أولاً: سيدنا إبراهيم عليه السلام

سيدنا إبراهيم عليها السلام أحسن مثال للابتلاء والوفاء، ثم التكريم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ﴾<sup>1</sup>.

« ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ﴾ الابتلاء: الامتحان والاختبار، أي ابتلاه بها، أمره به ... ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ قد اختلف

العلماء في تعيينها، فقيل هي شرائع الإسلام، وقيل ذبح ابنه، وقيل أداء الرسالة...»<sup>2</sup>.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۗ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾<sup>3</sup>.

« البلاء والابتلاء: الاختبار، والمعنى: إن هذا هو الاختبار الظاهر حيث اختبره الله في طاعته

بذبح ولده»<sup>4</sup>.

« ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ \* بمعنى فقام بهن حق القيام، وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان، ونحوه:

﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾<sup>5</sup>، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أن الله تعالى لما وعده بأن يجعله إماماً للناس

حقق الله تعالى ذلك الوعد فيه إلى قيام الساعة، فإن أهل الأديان على شدة اختلافها، ونهاية تنافئها يعظمون إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويتشرفون بالانتساب إليه، إما في النسب وإما في الدين والشريعة، حتى إن عبدة الأوثان كانوا معظمين لإبراهيم عليه السلام، وقال الله تعالى

1- سورة البقرة: 124.

2- فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج 1، ص 90.

3- سورة الصافات: 104-106.

4- فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج 23، ص 1247.

\*- من كلام المرحوم فريد الأنصاري في تفسيره الآية في بعض تسجيلاته، قال من الصالحين ما يأتي بعلامة 20/18

أو 20/15 لكن إبراهيم عليه السلام كلما مر باختبار يأتي بنقطة 20/20.

5- سورة النجم: 37.

في كتابه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾<sup>1</sup>، وقال: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾<sup>2</sup> «<sup>3</sup>».

## ثانياً: سيدنا أيوب ومقصد العبدية

### 1. سيدنا أيوب وأدب الدعاء:

قصة سيدنا أيوب عليه السلام هي النموذج الأمثل لهذا المطلب، فكان ابتلاء سيدنا أيوب بالمرض - الضر الجسدي - وفقد الأولاد، وكان سيدنا أيوب من عباد الله المتقين، فلم يكن لذلك الضر سبب ليكون عقوبة أو تنبيهاً، وكان تكريم الله له أن شافاه بمعجزة وعوضه ما فقد - جزاء لصبره وإنابته وأدبه مع الله - .

يقول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرُوا لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>4</sup>.

« مع عظيم فضله أنزل "الله" به من المرض العظيم ما أنزله مما كان عبدة له ولغيره ولسائر من سمع بذلك، وتعريفا لهم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الواجب على المرء أن يصبر على ما يناله من البلاء فيها... »<sup>5</sup>

أراد الله من هذه الآيات تعليم عباده المؤمنين أدب سيدنا أيوب في الدعاء والتضرع، رغم الضر الكبير الذي أصابه، فقله تعالى: ﴿مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ « مقصود منه الإبهام، ثم تفسيره ب (من) البيانية لقصد تهويل ذلك الضر لكثرة أنواعه، بحيث يطول عدها، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى تكثيرها»<sup>6</sup>، رغم ذلك الضر فقد لَمَّح عليه السلام إليه تلميحا في تضرعه حياء من الله . « والمس:

1- سورة النحل: 123.

2- سورة البقرة: 130.

3- تفسير الفخر الرازي، ج 4، ص 43-44.

4- سورة الأنبياء: 83-84.

5- تفسير الفخر الرازي، ج 22، ص 203.

6- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج 17، ص 126.

الإصابة الخفيفة، إذ جعل ما حلّ به من ضرر كالمس الخفيف»<sup>1</sup>. وعرفانا بعظيم نعمة الله عليه، واستحضارا لها في كل حين، وفي أصعب الأحوال، وابتعادا عن سوء الظنّ بالله تعالى، ظنّ القسوة، وعدم الرحمة التي يحاول الشيطان تكريسها في هذه الظروف الحرجة\*.

فانظر إلي قوله عليه السلام: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، تعريضا بالدعاء، فهو لم يصرح بمسألته، ففي قوله، «التعريض بطلب كشف الضرّ عنه بدون سؤال، فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمية تعريضا بسؤاله... ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ والسين والتاء للمبالغة في الإجابة، أي استجبنا دعوته العرضية بإثر كلامه، وكشفنا ما به من ضرر، إشارة إلى سرعة كشف الضرّ عنه... والكشف مستعمل في الإزالة السريعة. شبّهت إزالة الأمراض والأضرار المتمكنة التي يعتاد أنها لا تزول إلا بطول، بإزالة الغطاء عن الشيء في السرعة ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ ووصفت الرحمة بأنها من عند الله تتوبها بشأنها بذكر العندية الدالة على القرب المراد به التفضيل»<sup>2</sup>.

هذا أيوب عليه السلام بعد الضرّ الذي حلّ به صبر ورضي وتأدب مع ربه فتضرع فكانت رحمة الله عليه، وجعله ذكرا للعالمين ومدحه في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>3</sup>.

## 2- مقصد العبدية\* في الابتلاء بالضرر:

«العبد يقال على أربعة أضرب:

- عبدٌ بحكم الشرع والإنسان الذي يصحُّ بيعه وابتياعه نحو: ﴿الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾<sup>4</sup>

1- المصدر السابق، تفسير التحرير والتنوير.

\*- ذكر ذلك في سورة ص، الآية 41 في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْتَ مَسْنِي الشَّيْطَانُ بُنْصِبٍ وَعَذَابٍ﴾

2- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج 17، ص 127

3- سورة ص: 44

\*- مصطلح العبدية ذكره الشيخ فريد الأنصاري في بعض تسجيلاته، درس: وفي السماء رزقكم.

4- سورة البقرة: 178

- عبدٌ بالإيجاد وذلك ليس إلا لله نحو: ﴿إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾<sup>1</sup>
- عبدٌ بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربان: عبد الله مخلصاً، وهو المقصود بقوله: ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾<sup>2</sup>، و ﴿نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ﴾<sup>3</sup>.
- عبدٌ للدنيا وأعراضها<sup>4</sup>.

من مقاصد الضر الذي يصيب الله به الإنسان مقصد العبدية، أي من خلال الضر الذي يصيبه يعلم الإنسان أنه مخلوق، له خالق أوجده، ورتب له أقدار كما يشاء الله تعالى لا خيار له فيها، يقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (69) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>5</sup>

في هذا المقصد، مقصد العبدية يُعلم الله عبادَه أسماءه الحسنَى، لما في ذلك من خير كثير لمن أحصاها. والإحصاء يختلف عن العدّ، وقد ذكر العلماء معاني للإحصاء، منها: «الإطاقة: والمعنى من أطاق القيام بحقّ هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها، فيلزم نفسه بواجبها. وقيل معنى أحصاها عمل بها، فإذا قال "الحكيم" مثلاً سلم جميع أوامره لأن جميعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال "القدوس" استحضر كونه منزها عن جميع النقائص»<sup>6</sup>.

وفي هذا الباب نذكر ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة)).<sup>7</sup>

1- سورة مريم: 93

2- سورة ص: 41

3- سورة الفرقان: 1

4- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 356-357

5- سورة القصص: 68-70

6- فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج 11، ص 270.

7- رواه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط، رقم: 2736، فتح الباري، ج 05، ص 434.

ومن أهم الأسماء التي يكتشفها المؤمن من خلال الضرر اسم: الملك، العدل، الحكيم، المعطي المانع...، فكما يقتضي اسم الغفار وجود الذنوب، فإن اسم الشافي يقتضي وجود المرض، واسم المجيب والصدد يقتضي وجود المضطر<sup>1</sup>.

فالخضوع لله والتذلل إليه والدعاء والشكوى له من روافد الإيمان والقرب إلى الله، فكما أن الشكوى لغير الله مذلة، « فإن الشكوى إلى الله تعبد، والضراعة له والتذلل على بابه تقرب وطاعة. وللمحن والمصائب حكم، من أهمها أنها تسوق صاحبها إلى باب الله تعالى وتلبسه جلباب العبودية له، فليس إذاً بين الصبر على المكاره والشكوى إلى الله تعالى أي تعارض، بل الواقع أن رسول الله ﷺ كان يعلمنا في حياته كلاً الأمرين، فكان بصبره الشديد على المحن يعلمنا أن هذه هي وظيفة المسلمين عامة، والدعاة إلى الله خاصة، وكان بطول ضراسته والتجائه إلى الله تعالى يعلمنا وظيفة العبودية ومقتضياتها<sup>2</sup> ».

الرجوع إلى الله والتضرع إليه ودعاء المضطر باب عظيم لرفع الكربات، فمتى تحقق هذا المقصد للمؤمن فقد فُتح له باب الإجابة، يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري « ومتى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يُعطيك<sup>3</sup> ».

ذكرنا نموذج سيدنا أيوب عليه السلام في تضرعه إلى الله عندما إصابته بالضرر، وفي المقابل يذكر الله لنا في كثير من الآيات تصرف الإنسان عند وقوعه في الضرر، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضِلِّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَعَّ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾<sup>4</sup>، ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>5</sup>.

1- ينظر للتفصيل: كليات رسائل النور 3 للمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، دار سوزلر للنشر، تركيا، (د.ط -

د.ت)، ص 90

2- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر - بيروت،

دار الفكر - دمشق، ط 10، 1991، ص 154.

3- الاجتهاد المقاصدي، د. جاسر عودة، ص 153.

4- سورة الزمر: 8

5- سورة يونس: 12

« وهذه الحالة التي ذكرها الله سبحانه للداعي لا تختص بأهل الكفر، بل تتفق لكثير من المسلمين، تلين ألسنتهم بالدعاء، وقلوبهم بالخشوع والتذلل عند نزول ما يكرهون بهم، فإذا كشف الله عنهم غفلوا عن الدعاء والتضرع، وذهلوا عما يجب عليهم من شكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم، من إجابة دعائهم ورفع ما نزل بهم من الضر، ودفع ما أصابهم من المكروه . وهذا مما يدل على أنّ الآية تعمّ المسلم والكافر، كما يشعر به لفظ الناس ولفظ الإنسان، اللهم أوزعنا شكر نعمتك، وأذكرنا الأحوال التي مننت علينا فيها بإجابة الدعاء حتى نستكثر من الشكر الذي لا نطيق سواه، ولا نقدر على غيره، وما أغناك عنه وأحوجنا إليه »<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: تداخل المقاصد:

كثير ما يكون في الواقعة الواحدة تعدد أو تداخل للمقاصد من الضر، فمثلا في حادث مرور، يختلف المقصد من الضر من فرد إلى آخر، وذلك في الكوارث وفي الفتن... قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>2</sup>.

في هذه الآيات التي تتحدث عن غزوة أحد، ذكر أن مداولة النصر والهزيمة بين المؤمنين والكفار لها مقاصد هي إكرام بعض المؤمنين بالشهادة وتمحيص وتطهير البعض الآخر، وإهلاك واستئصال الكافرين، وفي ذلك اختبار وامتحان للمؤمنين<sup>3</sup>.

ومثال لتداخل مقصد العقوبة والاختبار، قصة أصحاب السبت، يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُبَلِّغُهُمْ

بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>4</sup>.

1- فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج 11، ص 614

2- سورة آل عمران: 140-142

3- ينظر: فتح القدير، الإمام الشوكاني، ج 4، ص 246-247.

4- سورة الأعراف: 163

وهذا التداخل يظهر جليا إذا قابلناه بابتلاء المؤمنين قصد الاختبار وذلك بالكف عن الصيد في الأيام الحرم، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلَاوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾<sup>1</sup>.

### المطلب الرابع: العزوف عن الالتزام بالدين خوف الابتلاء بالضرر

أخرج الترمذي في جامعه عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أيّ الناس أشدّ بلاء، قال: ((الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة))<sup>2</sup>.

« والسر فيه أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد، ومن ثمّ ضوعف حدّ الحرّ على العبد، وقيل لأمهات المؤمنين: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾<sup>3</sup>.

قال ابن الجوزي: في الحديث دلالة على أن القوي يحمل ما حمل والضعيف يرفق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة بالمبتلي هان عليه البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهبون عليه البلاء، وأعلى من ذلك درجة من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه، فيسلم ولا يعترض...<sup>4</sup>

في شباب المسلمين من يخاف الالتزام بتكاليف الدين، ويهاب التفقه في الدين، أو تقوية إيمانه خوفا من الإصابة بالضرر والبؤس والشقاء. وقد توهم ذلك من سماعه لبعض الخطب والمواعظ، وسير الصالحين. وليس الأمر كذلك، فإنّ أكثر المقبلين على الإسلام إنما فعلوا ذلك لما وجدوا فيه من

1- سورة المائدة: 94

2- رواه الترمذي: رقم: 2398، جامع الترمذي، الإمام الترمذي، ص 888. المستدرك على الصحيحين الإمام الحاكم النيسابوري (ت 405هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، رقم الحديث: 2505، ص 939.

3- سورة الأحزاب: 30

4- فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 139.

طمأنينة وراحة بال وحلاوة إيمان ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>1</sup>، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾<sup>2</sup>.

ومن يسمع أو يقرأ الحديث المذكور يتخيل إليه أن الأنبياء والصالحون هم أكثر الناس مصائباً وأمراضاً وآلاماً، وإن ما يعانيه هذا المتألم في مرضه سنين، ما كان ليبليغ تألم الرسول ﷺ وهؤلاء الصالحين، وهذا مخالف للحكمة التي أرسل من أجلها الرسل وهي الإبلاغ، وذلك ظاهر في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً﴾ (45) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً<sup>3</sup>، ويخالف ما بلغنا من سيرة النبي ﷺ، وأما البلاء العظيم الذي يصاب به الرسل والصالحون هو جراء تحملهم تكاليف إبلاغ الرسالة، وهذا الضرر يندرج في نوع الابتلاء بالتكاليف أو الطاعة، وقد فصل في هذا الموضوع كثيراً تحت مسمى الابتلاء في الدعوة.

« وتعليل هذه بالسنة العامة وهي ((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)) أن الأنبياء يقومون بتبليغ رسالات ربهم ويدعون الناس إلى الله وعبادته، فيكذبهم أهل البطل ويؤذونهم بشتى أنواع الأذى كما قضت سنة الله في التدافع بين الحق والباطل.

وأما تعليل كثرة البلاء على الصالحين ثم الأمثل فالأمثل، فإن الصالحين هم القائمون بما عليهم من حقوق الحق والخلق، ومن هذه الحقوق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، ودعوة الخلق إلى الحق جلّ جلاله، وما يترتب على ذلك من أذى بشتى أنواعه يلحق بهم، وكلما كان المؤمن صلوا في دينه قويا في إيمانه، كان أكثر جهادا في سبيل الله، فيكون أكثر بلاء من غيره»<sup>4</sup>.

يقول جل جلاله: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْتَبِهُ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾<sup>5</sup>.

1- سورة الحجرات: 7.

2- سورة النحل: 97.

3- سورة الأحزاب: 45-46.

4- السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص 90.

5- سورة طه: 1-3.

« لتشقى بالتعب والسهر في قيام الليل، أو بالأسف والحزن على كفرهم، أو جواب لهم لما قالوا: إنه بالقرآن شقي. ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ إنذار لمن يخشى الله، أو زجراً لمن يتقى الذنوب». <sup>1</sup>

فالقرآن والشقاء نقيضان لا يلتقيان. وكذلك الايمان أمن وأمان ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ <sup>2</sup>.

إن ما تراه تعباً وشقاءً يصيب الخيرين من هذه الأمة، هم يعيشونه انشراحاً وسروراً في نفوسهم، ويرونه توفيقاً من الله أن اختارهم لهذه المهمة، أي تبليغ كلام الله، فهم مستعدون لحمل تكاليفها وطالبون لها.

وهذا الابتلاء بالضرر والجهد يخص بعض المؤمنين الأصفياء - وهو وضعية عابرة، ومرحلة في حياة المجاهدين في سبيل الله -، ولا ينسحب على جميع المؤمنين، فإن للمصيبة وقع في النفس تفرع منها وتخشاها.

1- تفسير القرآن، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي (581-660هـ)، حققه: د. عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهبي، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية. ط 1، 1416هـ-1996م، ج 2، ص 293.

2- سورة الأنعام: 82.

### خلاصة الفصل:

في هذا الفصل تحدثت عن المقاصد من ابتلاء الله تعالى لعباده المؤمنين بشئى أنواع الضرر من مصائب، وأمراض، وكوارث، وما في ذلك من رحمة ولطف بهم، فبالرغم من غفلة بعض المسلمين في خوضهم هذه المحن، وأخذهم بظواهرها، مع أن تلك المحن تُعتبر سلماً للارتقاء. وبهذا يأخذ هذا النوع من الابتلاء محوريته في الوجود الإنساني.

بالرغم من شدة تداخل المقاصد فقد ميزت ثلاثة مقاصد مهمة عند الإصابة بالضرر.

1- **مقصد الاختبار:** هو سنة ربانية لتمييز الصادق من الكاذب، ولإظهار نوايا المؤمن أعمالاً وبرهانا، بحيث يكون جزاء عليها.

2- **مقصد التطهير وتكفير الذنوب:** إذ لا يخلو المسلم من الذنوب، فيقدر الله تعالى له بعض الضرر ليخفف عنه، وقد تقرر ذلك في الكتاب، وفي السنة خاصة، ولتكفير الذنوب شروط وحدود.

3- **مقصد الاجتباء والتكريم:** وهذا لعباد الله المقربين، وهذا المضمار مفتوح للمؤمنين جميعاً لمن أراد أن يرشح نفسه لنيل المراتب العليا، ولكن دون ذلك بذل وجهد وعطاء، ومهما بدت من مشقة ظاهرة في اختيار هذا السبيل، إلا أن في ذلك بهجة الأرواح.

# الفصل الثالث

مقصد التنبيه

والتذكير والإنذار

## تمهيد:

إنّ مقصد التذكير والتنبيه مقصد عظيم من مقاصد الضرّ، ذو نفع كبير للمسلم في مآله، ويعمل فيه الشيطان بجد لإخفائه والصرف عنه بشتى التعليقات والتبريرات. فتلك الإصابات هي رسائل من الله، فيها رحمة وشفقة بعباده المؤمنين لإرجاعهم إلى الجادة، وسنصنفها حسب المخالفات المرتكبة ومدى القرب والبعد من الله.

## تعريفات:

سننطق أولاً للمدلول اللغوي لكل مقصد في هذا الفصل:

- **التنبيه:** نبه: النبه: القيام والانتباه من النوم. ونبهه من الغفلة فانتبه، وتنبه: استيقظ، وتنبه على الأمر: شعر به.<sup>1</sup> نبه: شرف واشتهر فهو نبيه. ونبهه تنبيهها فانتبه من نومه: أيقظه. وتنبه من غفلته.
- **التذكير:** ذَكَرَ: الذِكرُ الحفظ للشيء نذكرُهُ. الفراء: يكون الذِّكْرَى بمعنى الذِّكر ويكون بمعنى التذِّكْر في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَشْغَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>2</sup>، والذِّكر والذِّكْرَى بالكسر نقيض النسيان.<sup>2</sup>
- **الإنذار:** الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف، تقول: أُنذره: أي خوفه وحذره، وفي التنزيل العزيز ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾<sup>3</sup>. والمصدر: الإنذار، والاسم: النُّذْرُ ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ فكيف كان عذابي ونذري<sup>4</sup>.

## الفصل بين تذكير المؤمن وإنذار الكافر

وهذا المقصد، مقصد التذكير مجاور، وربما تقاطع مع مقصد إنذار غير المؤمنين، لكن شتان بين من أعطى عهداً مع الله، فهو يتولاه بتذكيره وتنبيهه إذا ما أغواه الشيطان، أو مالت به نفسه، وبين من أعطى ولاءه لغير الله أو استكبر عن اتباع هديه.

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة نبه، مج 13، ص 545.

2- المصدر نفسه، مادة ذكر، مج 4، ص 308.

3- المصدر نفسه مادة نذر، مج 5، ص 200.

4- مختار الصحاح، الامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، إعداد عبد الله محمد الكتبي، المطبعة الكلية- مصر، ط 1، 1329هـ، ص 209.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله: « وإذا رأيت تحذير الله للمؤمنين دون غيرهم من مصائب وابتلاءات قد يأخذهم بها، إن لم يفؤا بالعهد الذي أخذوا أنفسهم به، وذلك في مثل قوله: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>1</sup>، فذلك لأنهم نكثوا عهدا تجاه الله كانوا قد ألزموا أنفسهم به، دون أن تخيفهم تحذيرات الله في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾<sup>2</sup>، وفي مثل قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾<sup>3</sup>.<sup>4</sup>

1- سورة آل عمران: 175

2- سورة المائدة: 7

3- سورة البقرة: 40

4- من سنن الله في عباده، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص 59.

## المبحث الأول: مقصد تنبيه عباد الله المقربين

### المطلب الأول: نموذج ضر سيدنا يونس عليه السلام

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>1</sup>

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا التُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>2</sup>

تلخيصاً من بعض التفاسير\*، وإجلاء لمقصد التنبيه في قصة سيدنا يونس عليه السلام، نجد أنه دعا قومه فلم يستجيبوا له، فظن أن سنة الإهلاك قد حقت عليهم، فخرج من بينهم مغاضباً لقومه، لكن قبل أن يأذن الله تعالى له بالخروج كما أمر الأنبياء من قبله إذا حقت على أقوامهم كلمة العذاب<sup>3</sup>، ولم يخطر على باله أن الله سيضيق عليه وبيئته بضر<sup>4</sup>.

فلما ركب في الفلك المشحون وهاج البحر وأوشكوا على الغرق، اقترعوا لتخفيف الحمولة فوقع القرعة عليه فابتلعه النون، بأمر من ربه، وفي هول الأمر الذي هو فيه مباشرة بعد انتباهه، التجأ إلى ربه مسبِحاً معترفاً بذنبه موقناً بالإجابة. ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فاستجاب له الله القادر الحكيم ﴿وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾<sup>5</sup>، « قال ابن عباس: نهاه أن ينتسبه بصاحب الحوت، حيث لم يصبر صبر أولي العزم، يقول: وإنما نُهي عن التشبه به في السبب الذي أفضى به

1- سورة الصافات: 139-144

2- سورة الأنبياء: 87-88

\* ينظر: تفسير الإمام محمد أبو زهرة، تفسير الإمام الفخر الرازي، تفسير الإمام ابن كثير.

3- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الإمام الراغب الأصفهاني، أبق: يقال أبق العبد إذا هرب، ص 12

4- المصدر نفسه، ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ يقدر عليه: أن يضيق عليه، ص 442

5- سورة القلم: 48.

إلى هذه المناداة، وهي مغاضبته التي أفضت به إلى حبسه في بطن الحوت»<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: نموذج من الواقع

شاب نشأ في عبادة الله، عزم وطلب من الله أن يستخدمه لنشر دعوته وألح في الدعاء، فيسره الله لذلك، وفتح عليه من أبواب العمل ونفع الغير، فلما بلغ أوج عطائه انسحب واعتذر لخلاف بين إخوانه، عازم على الاعتزال والاكْتفاء بنفسه وبيته، لكن يفاجأ بعقوق من ولده وضيق في داره ... أو بنوع من أنواع الضرر، فمثل هذا الضرر قد يكون تنبيها من المولى له.

الله يجتبي من بين المؤمنين من يُحمّله تبليغ رسالته والشهادة على الناس ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ

جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾<sup>2</sup>.

وهذا يكون بعزم من هؤلاء وإرادة لحمل تكاليف ذلك، ولكن الأمر ليس بالهين ودونه جهاد طويل، فقد يصاب المؤمن بالفتور أو يقرر الانسحاب، فإله بلطفه ورحمته يذكره أن متاع الدنيا قليل، والعزة في ما كان عليه علّه ينشط ويرجع.

### المطلب الثالث: الإمام ابن القيم وبلاء الانفصال:

يقول في منزلة الحياة: « ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾<sup>3</sup>، وهؤلاء هم خلفاء الرسل حقا، وهم أولوا

البصر واليقين.

فجمعوا بين البصيرة والبصر، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۗ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ﴾<sup>4</sup> ... ثم يقول عن هؤلاء: بل إن المعرض الصادق يعاقبه الله تعالى بمثل هذه الهموم والحسرات،

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ﴾<sup>5</sup>.

1- التفسير القيم للإمام ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (691-751هـ)، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، (د.ط - د.ت)، ص 498.

2- سورة الحج: 78.

3- سورة الأنعام: 122.

4- سورة السجدة: 24.

5- سورة آل عمران 28.

ووجه الإشارة بالآية أنه سبحانه المقرب المبدّد، فليحذر القريب من الإبعاد، والتمصل من الانفصال، فإن الحق جلّ جلاله غير لا يرضى ممن عرفه ووجد حلاوة معرفته واتصل قلبه بمحبته والأنس به، وتعلقت روحه بإرادة وجهه الأعلى أن يكون له التفات إلى غيره البتّة.

فإذا ضرب هذا القلب بسوط البعد والحجاب، وسلط عليه من يسومه سوء العذاب... وبُدّل بالأنس وحشة، وبالعرّ ذلا، وبالقناعة حرصا، وبالقرب بعدا وطردا، وبالجمع شتاتا وتفرقة، كان هذا بعض جزائه، فحينئذ تطرقه الطوارق والمؤلمات، وتعتريه وفود الأحزان والهموم بعد وفود المسرات.

وإذا أردت أن تعرف ما حلّ بك من بلاء الانفصال، فانظر أين يببت قلبك إذا أخذت مضجعا؟ وإلى أين يطير إذا استيقظت من منامك؟<sup>1</sup>

#### المطلب الرابع: الشيخ النورسي ولطمات الرأفة

ونجد هذه المعاني عايشها الإمام النورسي من خلال دعوته، يقول في اللمعة العاشرة تحت عنوان: رسالة لطمات الرأفة وصفعات الرحمة ﴿وَيَحْذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>2</sup>، لطمات تأديبية رحيمة وصعقات عتاب رؤوفة تلقاها إخواني الأحبة العاملون في خدمة القرآن الكريم، وذلك من جراء أخطاء ونسيان وغفلة، وقعوا فيها بمقتضى جبلتهم البشرية... إن العاملين في خدمة القرآن الكريم لما يعتريهم الفتور والإهمال في العمل، يأتيهم التحذير والتنبيه، فيتلقون لطمة ذات رأفة وعطف، وينتبهون من غفلتهم، ويسرعون بجدّ للخدمة مرة أخرى، إن حوادث هذا القسم تزيوا على المائة.<sup>3</sup> ثم يقص نماذج برواية أصحابها.

وهذا المعنى قد تحدث عنه بعض الزهاد مثل: الشيخ الجيلاني والشيخ ابن عطاء الله السكندري مما لا يكفي المقام لذكره.<sup>4</sup>

1- تهذيب مدارج السالكين، الإمام ابن القيم، ج2، ص 960.

2- سورة آل عمران: 30

3- كليات رسائل النور 3 للمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ص 68-69

4- أنظر: الدرر السنية في المواعظ الكيلانية، تأليف السيد محمد سيف الدين الكيلاني، مطبعة مهران، اسطنبول، (د.ط-دت) ص 32.

### المطلب الخامس: رأي علماء الأصول

قد يقول أحدنا أن في مضمون المطلب السابق تعسير ورحج على المسلم، فكيف لمسلم أدى الواجب، ثم انتدب لفعل المزيد أن يعاقب على ترك ما كان فيه اختياراً؟

ما كان في مقصد التنبيه من اجتناء ومعان قلبية لا يحصيها إلا المعني مع ذاته، لأنها أمور لا تنضبط، ثم هي لا تشمل جميع المسلمين بل تخصّ قلة منهم.

« وأما حال طلب النفس على الأكمل من الأحوال، فذلك كثير من أوامر رسول الله ﷺ ونواهيته الراجعة إلى تكميل نفوس أصحابه، وحملهم على ما يليق بجلال مرتبتهم في الدين من الاتصاف بأكمل الأحوال مما لو حمل عليه جميع الأمة لكان حرجاً عليهم، وقد رأيت ذلك كثيراً في تصرفات رسول الله ﷺ ورأيت في غفلة بعض العلماء عن هذا الحال من تصرفاته وقوعاً في أغلاط فقهية كثيرة وفي حمل أدلة كثيرة من السنة على غير محلها، وبالاقتداء إلى هذا، اندفعت عني حيرة عظيمة في تلك المسائل. <sup>1</sup>»

وقد تناول علماء الأصول هذه المسألة في باب فروض العين وفروض الكفاية، ويرى الإمام القرافي الترخيص فيها بعد استصعابها « نقل صاحب الطراز\* أن اللاحق بالمجاهدين، وقد كان سقط الفرض عنه، يقع فعله فرضاً بعدما لم يكن واجباً عليه. وطردَ غيره هذه القاعدة في جميع فروض الكفاية كالساعين في تحصيل العلم من الطلاب. وعُلِّ ذلك أن مصلحة الوجوب لم تحصل بعد.

**سؤال:** هذه المسألة نقض كبير على حد الواجب، بأي حد حددتموه؟ فإن هذا اللاحق بالمجاهدين أو بغيرهم، كان له الترك إجماعاً من غير ذم ولا لوم ولا استحقاق عقاب، ومع ذلك فقد وصفتم فعله بالوجوب، فقد اجتمع الوجوب وعدم الذم على تركه، وذلك يناقض حدود الواجب كلها.

وهذا سؤال صعب، فيلزم إما بطلان تلك الحدود أو بطلان هذه القاعدة والكل صعب جداً.

1- مقاصد الشريعة الإسلامية، الإمام طاهر بن عاشور، ص 221.

\*- هو الفقيه سند بن عنان الأزدي، ألف كتاباً حسناً في شرح المدونة هو الطراز، مات بالإسكندرية، سنة 541هـ. الفروق للإمام القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس المصري المالكي (626-684هـ)، تحقيق: عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 1، 1424هـ-2003م، ج 1، ص 278.

**الجواب:** الوجوب في هذه الصور مشروط بالاتصال والاجتماع على الفاعلين، فلا جرم إن ترك مع الاجتماع أئِم، والترك مع الاجتماع لا يُتصور إلا إذا ترك الجميع، والعقاب حينئذ متحقق.

**والقاعدة:** أن الوجوب المشروط بشرط، ينتفي عند انتفاء ذلك الشرط، فإذا كان منفردا عنهم يكون شرط الوجوب مفقودا، فيذهب الوجوب، ولا عجب أن يكون الوجوب مشروطا بشرط الاتصال ومفقودا عند الانفصال، كما تقول لزيد إن اتصلت بعصمة أمرك وجبت عليك النفقة، وإن انفصلت عنها، لا تجب النفقة.

كذلك ههنا، متى اجتمع مع القوم الخارجين للجهاد تقرر الوجوب، فإذا أراد أن يفارقهم، قلنا لك ذلك، فإذا فارقهم بطل الوجوب كذلك أبدا، فاندفع السؤال فتأمل ذلك، فالسؤال جيد والجواب جيد<sup>1</sup>.  
لكن يبقى في المسألة تفصيل كبير له علاقة بالمشقة والتعارض مع تكاليف آخر.

1- الفروق للإمام القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس المصري، ج 1، ص 278-279.

## المبحث الثاني: مقصد تذكير المسلم العاصي وإنذاره، ونماذج لذلك

### المطلب الأول: تقرير مقصد تذكير المسلم العاصي وإنذاره

يقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾<sup>1</sup>.

« أولًا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم في كل عام مرة أو مرتين ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾... ثم هم مع البلاء الذي يحل بهم من الله، والاختبار الذي يعرض يتذكرون بما يرون من حُجج الله ويعاينون من آياته، فيتعظوا بها، ولكنهم مصرون على نفاقهم... إنَّ الله تعالى ذكره عَجَب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلّة تذكّركم وسوء تنبّئهم لمواعظ الله التي يعظهم بها»<sup>2</sup>.

ويقول صاحب تفسير المنار في تفسير الآية، « كأنه يقول للمؤمنين: أتعجبون من الحكم عليهم (المنافقين) بهذه العقاب السوء، ولا ترون الدلائل الدالة عليها من فتنتهم وابتلائهم المرة بعد المرة، سنة بعد سنة، بما من شأنه أن يذهب بشكهم، ويشفي مرض قلوبهم من آيات الله فيهم، وفي غيرهم ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ أي ثم تمر الأعوام على ذلك ولا يتوبون من نفاقهم، ولا يتعظون بما حل بهم مما أنذرهم الله تعالى به... يفرون من العلاج الذي من شأنه أن يشفيهم من مرض قلوبهم»<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: نموذج أصحاب الجنة

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ

1- سورة التوبة: 126.

2- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج 12، ص 91.

3- تفسير المنار، الإمام محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط 2، 1366هـ-1947م، ج 11، ص 84.

أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَأَمُّونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنْ كُنَّا طَاغِينَ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنْ إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿١﴾

يقول الإمام فخر الدين الرازي: « بين في هذه الآية أنه تعالى إنما أعطاه\* المال والبنين على سبيل الابتلاء والامتحان ليصرفه إلى طاعة الله، وليواظب على شكر نعم الله، فإن لم يفعل ذلك فإنه تعالى يقطع عنه تلك النعم، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات، فقال: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾، أي كلفنا هؤلاء أن يشكروا على النعم كما كلفنا أصحاب الجنة ذات الثمار، أن يشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم ... أصحاب الجنة لما أتوا بهذا القدر اليسير من المعصية دمر الله على جننتهم فكيف يكون الحال في حق من عاند الرسول ﷺ، وأصرَّ على الكفر والمعصية...»

ويقول: ثم إنه تعالى لما حكى عن ذلك الأوسط أنه أمرهم بالتوبة وبالتسبيح حكى عنهم أشياء (أولها) إنهم اشتغلوا بالتسبيح وقالوا في الحال ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ عن أن يجري في ملكه شيء إلا بإرادته ومشيئته، ولما وصفوا الله تعالى بالتنزيه والتقديس اعترفوا بسوء أفعالهم ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

فلا جرم اشتغل القوم في الحال بالتوبة... وتنتهي القصة في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾<sup>2</sup>.

فمقصد الإنذار من هذا الضرر جلي، إخوة مسلمون عزموا على حرمان المساكين، مما رزقهم الله فعاقبهم بالحرمان منها، فلما ذكَّروهم أوسطهم بالتسبيح، ومن معاني التسبيح تنزيه الله عن الظلم<sup>3</sup>، مباشرة انتبهوا للندير ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فبالتسبيح نظروا إلى ما وراء الأسباب، فاتهموا أنفسهم ورجعوا إلى ربهم فكانت الثمرة من الإنذار.

1- سورة القلم: 17-32. ليصرمنها: ليقطعن ثمر نخيلهم في وقت الصباح. طائف من ريك: أمر من ريك قول ابن عباس، الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ص 163. كالتصريم: الصرم: القطع البائن، لسان العرب، مج 12 ص 332. حرذا قادرين: الحرد: الجد والقصد. والحرد المنع، المصدر نفسه، ص 144.

\*- يشير إلى الذي ذكره في الآيات السابقة: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ سورة القلم: 14.

2- تفسير الفخر الرازي، ج 30، ص 87-90

3- لسان العرب، ابن منظور، سبحان الله في اللغة تنزيه الله عن السوء، قال أبو إسحاق: السبوح: الذي ينزه عن كل سوء. ص 471-472. وأنظر: تفسير الفخر الرازي، ج 30، ص 90.

يقول تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>1</sup>.

### - هل نؤاخذ على النية مع العزم؟

يقول الإمام القرطبي: في هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان، لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذُقْهُ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ﴾<sup>2</sup>، وفي الصحيح<sup>3</sup> عن النبي ﷺ قال: ((إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار)) قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: ((إنه كان حريصا على قتل صاحبه))<sup>4</sup>.

لكن في المسألة قول آخر، يقول الامام الشوكاني: «إن قوله ﷺ: ((إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به))<sup>5</sup>، كما في حديث أبي هريرة ؓ الثابت في الصحيح يدل على غفران كل ما وقع من حديث النفس فإن لفظ (ما) من صيغ العموم كما صرح به أهل الأصول وأهل المعاني والبيان... وبيان ذلك أن الغاية التي أثبتت الأدلة المؤاخذة بها هي العمل والتكلم، وهذا العازم لم يعمل ولا تكلم... ورحم الله الإمام الشافعي فإنه قال في "الأم": كل ما لم يحرك به لسان فهو حديث النفس الموضوع عن بني آدم.

ويكون ما ورد منها مخصّصاً لهذه العمومات التي ذكرناها، وذلك لقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾<sup>6</sup>، خاصة بالحرم وبما هو إلحاد.

أما حديث ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما...)) قلت لا أجعله من هذا القبيل، لأن هذا المقتول لم يكن من مجرد الحرص فقط، بل قد فعل في الخارج فعلا هو عمل ظاهر.

1- سورة آل عمران: 135

2- سورة الحج: 25

3- رواه البخاري، كتاب الديات، باب 2 قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، رقم: 6875، فتح الباري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ج 12، 238، حديث صحيح.

4- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ص 165-166.

5- رواه مسلم، كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس، رقم: 201، صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام مسلم، ج 2، ص 193.

6- سورة الحج: 35

وأما ما ورد في شأن أهل القرية التي أصبحت كالصريم، ليس من هذا القبيل، فإنهم قد تكلموا بما عزموا عليه فعوقبوا لأجل تكلمهم لا لأجل عزمهم<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: نماذج من الواقع فيها التذكير والانذار

#### - النموذج الأول:

كثيرا ما يصاب أحدنا بالمصيبة تلو الأخرى، فيُنصح بالصبر والتسليم لما فيه من الأجر الكبير، فيفعل، ثم تزيد المصيبة فيُنصح بالصدقة والدعاء ليرفع البلاء، فيفعل، فإذا زاره الأحباب دعوا له بالفرج وتطهير الذنوب، وحسنا ما فعلوا، لكن لا يجراً أحد أن ينصحه بمراجعة نفسه، لأن ذلك ليس من آداب المسلم، فعلينا بحسن الظن، فلو راجع نفسه لوجد أن عليه ديونا طال الزمن عليها، وعذره أن صاحبها ليس محتاجا إليها، وله مصالح أولى من تسديد الديون؛ أو له أجبر لم يعطه حقه، أو هو ساكن في إرث لغيره أوفيه حق لغيره أو...

فالله سبحانه بلطفه يرسل له ما يذكره، فيصبيه بضرّ يوقفه علّه ينتبه ويتذكر.

#### - النموذج الثاني:

كثيرا ما يقع المسلم بين خيارات تقاطعت فيها مصالح الدنيا- التي يظنها مصالح- مع مصالح الآخرة، فيأخذ بميزان هواه، فيقدم مصالحه العاجلة على أمر الله، ولما يتبين له الصواب، يقيم له التأويلات والأعذار، ثم يرتب لها الحيل والمخارج، التي تضلّه عن السبيل، وهو يحسب أنه قد استطاع بذكائه الجمع بين الدنيا والآخرة، فإن أصابه أمر لم يكن في الحسبان من ضرّ يهزه، فليعلم أن ذلك قد يكون إنذارا له من مسير الأمور.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>2</sup>

1- رفع الباس عن حديث النفس والههم والوسواس، الإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي إبراهيم صالح بن قايد الوادعي، دار الحرمين- القاهرة، ط 1، 1416هـ-1995م، ص 21 إلى 49.

2- سورة التوبة: 24

يقول الإمام فخر الدين الرازي عن الآية: « وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله، ومن المجاهدة في سبيل الله، فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بأمره، أي بعقوبة عاجلة أو آجلة، والمقصود منه الوعيد »<sup>1</sup>.

ويقول صاحب الكشاف: « وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها، كأنها تتعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين »<sup>2</sup>.

### - النموذج الثالث:

رجل استباح أكل الربا عن طريق شبهة أو تحايل، أو رخصة شاذة أو ضرورة مؤقتة جوّزت اقتحام حمى الله، فتمادى في ذلك إلى أن جاءه واعظ من الله يذكره، بولد صغير يخبره، أو من كلام يسمعه أو من إشارة منظفة تعوذت من الربا أو ... ولكنه لم يتعظ. ماذا ينتظر؟ فإن كان ممن ظلم الناس، واستعان في تعاملاته بالرشاوى والاختلاسات، وما زال باقيا في بحبوخته فإن شأنه عسير ومصيره مظلم مؤلم، لأنه في استدراج، فالله غاضب عليه وفتح له أبواب الخير حتى يأخذه أخذ عزيز منتقم.

وأما إن كان فيه بقية من إيمان، ولم ينته عن الربا فلينتظر المصائب، مرض يصيبه أو يصيب ولده أو عزيز عليه أو نكسة في أمواله أو حادث يفجعه.

فكل مسلم علم في قرارة نفسه أنه قد استباح حرمة من حرم الله، فلا ينتظر غير هذا المصير المحسوم، إن لم يسرع ويستغفر.

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبَسِّمُوا فَلَئِمَّا رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾<sup>3</sup>

1- تفسير الفخر الرازي، ج 16، ص 20.

2- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467-538هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان- الرياض، ط 1، 1418هـ-1998م، ج 3، ص 26.

3- سورة البقرة 278-279.

« هذا وعيد إن لم يذروا الربا، والحرب داعية القتل »<sup>1</sup>، « فصدر الآية الأمر بتقواه المضاد للربا، وأمر ما بقي من الربا بعد نزول الآية، وعفا لهم عما قبضوه قبل التحريم، وعلق هذا الامتثال على وجود الإيمان منهم، والمعلق على شرط منتف عند انتفائه ثم أكد عليهم التحريم بأغظ شيء وأشده، وهي محاربة المرابي لله ورسوله، ففي ضمن هذا الوعيد أن المرابي محارب لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه »<sup>2</sup>.

---

1- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج4، ص 404.

2- التفسير القيم للإمام ابن القيم، ص 172

### المبحث الثالث: مقصد إنذار وإهلاك الكفار

الإنذار محور أصيل في القرآن الكريم، يقيم الله به الحجة على خلقه التي هي أساس الجزاء يوم الحساب، وهو يخص جميع الرسالات السماوية.

يقول الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>1</sup>

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا

هُزُوعًا﴾<sup>2</sup>

وقد أدرجه الإمام ابن عاشور في مقاصد القرآن التي سماها المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيينها، وهي ثمانية.

وقد ذكر في المقصد السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.<sup>3</sup>

وقد كتبت دراسات حديثة في هذا الموضوع لعظم فائدته، من بينها رسالة بعنوان: الإنذار في القرآن الكريم، وسأورد تلخيصه للرسالة لتعطينا رؤية مركزة عن الإنذار: «الإنذار يعني الإبلاغ والإخبار أو الإعلام مع التخويف، ولقد ذكر الله تعالى الإنذار في القرآن الكريم عشرين ومائة مرة.

وكان اهتمام القرآن الكريم بالإنذار لحكم عظيمة (وقد أفرد لها فصلاً)، فقد جاء:

• لتخويف الناس، وتهديدهم من عقاب الله وسخطه

• وتذكيرهم وإيقاظهم من غفلتهم

• وإقامة الحجة عليهم بتبليغهم دين الله

• وهدايتهم وإرشادهم للطريق المستقيم

1- سورة النساء: 165

2- سورة الكهف: 56

3- تفسير التحرير والتوير، الإمام الطاهر بن عاشور، المقدمة الرابعة، ج1، ص 39-42

والناظر في آيات الإنذار بعين التدبر والتأمل يجد أن المنذرين في الآيات خمسة وهم (قد جمعهم في فصل): الله جل جلاله، والرسول عليهم السلام، والقرآن الكريم، والمؤمنون، وأخيرا الجن. وهناك من اعتبر الشيب نذيرا ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾.

وخصت آيات الإنذار بسبعة أصناف من المنذرين وهم: المؤمنون، ثم الأقارب، وأهل مكة، أهل الكتاب، الناس جميعا، وأخيرا الجن؛ كما كشفت آيات الإنذار عن مواقف الأمم السابقة تجاه النذر<sup>1</sup>.  
تعبّد الله خلقه المكلفين بالسمع والطاعة، فبعث لهم الرسل مبشرين ومنذرين ليبلغوا عنه، واستعمل من عباده المؤمنين من يبلغ عنه، ومن حكمته سبحانه أن جعل من بعض الضرّ الذي يصيب المكلفين إنذارا لهم.

ونخلص إلى أنّ مقصد الإنذار من الضرّ له نفس مقاصد الإنذار المذكورة آنفا، وموجهة إلى نفس المنذرين، إلا أن وسيلة الإنذار (المنذر) هو الضرّ، أي كما أمر الله الرسل وعباده المؤمنين للإنذار، جعل من بعض الضرّ إنذارا للمكلفين.

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>2</sup>

يقول الإمام الطبري مشيرا إلى بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام: « واختبرناهم بالرخاء في العيش، والخفض في الدنيا، والدعة والسعة في الرزق، وهي الحسنات التي ذكرها جلّ ثناؤه، ويعني بـ ﴿ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾، الشدة في العيش والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم، ويُنَبِّئُوا إِلَيْهِ، ويتوبوا من معاصيهم<sup>3</sup> ».

في هذه الآية بيان آخر على سنة ابتلاء الأمم - التي آمنت بالله - بالضرّ والخير قصد إنذارهم وتذكيرهم لعلهم يرجعون عن غيهم وعصيانهم.

1- الإنذار في القرآن الكريم، رسالة لنيل درجة الماجستير، الأستاذ، أدهم عمر عباس بن خرشة، نابلس فلسطين، 2012. ص ذ. (بتلخيص).

قد أوردت هذا الملخص اجتنابا للتكرار، وكي أبني على ما قدم الأستاذ وأحسن التفصيل.

2- سورة الأعراف: 168

3- تفسير الطبري، ج10، ص 534

« لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » أي أن الله سبحانه وتعالى عاملهم معاملة من يريد أن يرجعوا إلى جنبه الأعلى وسماحته العليا، فيهدتوا بعد بُعْدٍ عنه سبحانه <sup>1</sup>.

## المطلب الأول: سنة العذاب الأدنى

### أولاً: تقرير سنة العذاب الأدنى

من عدل الله سبحانه وتعالى أن لا يعذب أحداً حتى يرسل إليه من يبلغه ويذكره فطرته التي فطره عليها ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ <sup>2</sup>.

ولا يكتفي بتبليغه الرسالة، بل يقيم عليه الحجج الظاهرة والباطنة في الكون وفي الأنفس، وزيادة على هذا ينذرهم بالضرر مرة تلو المرة لعلهم يرجعون، وهذا النوع يكون المقصد منه:

• إقامة الحجة والإعذار.

• الهداية إلى الفطرة.

• الكف عن الاستكبار والرجوع إلى الله.

وفي القرآن الكريم آيات دالة تقرر هذه السنة .

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَذِيقَنَّكَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۗ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ <sup>3</sup>.

معنى العذاب الأدنى: يقول الإمام الطبري بعد عرضه لأقوال أهل التأويل: « وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر (عذاب يوم القيامة)، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو

1- زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، ج6، ص 2996

2- سورة الإسراء: 15

3- سورة السجدة: 21- 22.

قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، وقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى»<sup>1</sup>.

يقول الإمام ابن عاشور في تفسير الآية: «إخبار بأن لهم عذابا آخر لا يبلغ مبلغ عذاب النار، الموعودين به في الآخرة، فتعين أن العذاب الأدنى عذاب الدنيا، والمقصود من هذا التعريض بتهديدهم لأنهم يسمعون هذا الكلام أو يبلغ إليهم، وهذا إنذارا بما لحقهم بعد نزول الآية»<sup>2</sup>.

يقول الإمام القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم لنفسه ﴿مَنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ﴾ أي بحججه وعلاماته ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ بترك القبول»<sup>3</sup>.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>4</sup>.

وهذه آية أخرى تقرر هذه السنة.

وفي هذه الآية بيان لشعور كثير ممن أصابتهم الأمراض والمصائب، إذ يتهربون من إثبات مقصد الإنذار من الضر الذي أصابهم ويصرفونه لتعليقات أخرى كقول الماديين وأشباههم، هذه أمور طبيعية لا علاقة للغيب بها، قد أصبنا بها مثل ما أصيب بها من قبلنا.

«﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ فنحن مثلهم»<sup>5</sup>.

### ثانياً: قوم فرعون نموذجاً

يقول الله جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ

1- تفسير الطبري، ج18، ص 626-634.

2- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج 21، ص 232-233.

3- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج7، ص 40-41.

4- سورة الأعراف 94-95.

5- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج9، ص 288. عفاوا: كثروا، المصدر نفسه.

بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۗ وَأَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١﴾

يقول الإمام القرطبي: « ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ أي كانت آيات موسى من كبار الآيات، وكل واحدة أعظم مما قبلها، لأن الأولى تقتضي علما، والثانية تقتضي علما، فتضم الثانية إلى الأولى فيزداد الوضوح... ﴿ وَأَخَذْنَا لَهُم بِالْعَذَابِ ﴾ أي على تكذيبهم بتلك الآيات، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾<sup>2</sup>، والطوفان والجراد والقمل والضفادع، وكانت هذه الآيات الأخيرة عذابا لهم وآيات لموسى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾، من كفرهم ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴾ أي فدعا فكشفنا، ﴿ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴾ أي ينقضون العهد الذي جعلوه على أنفسهم فلم يؤمنوا ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فَأَعْرِضْنَاهُمْ أجمعين ﴾. روى الضحاك عن ابن عباس أي غاضونا وأغضبونا<sup>3</sup>.

يقول الإمام ابن عاشور: « ﴿ وَأَخَذْنَا لَهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ والعذاب عذاب الدنيا، وهو يؤلم ويشق وذلك القحط والقمل والطوفان والضفادع والدم في الماء... والأخذ بمعنى الإصابة والرجوع مستعار للإذعان والاعتراف. ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فَأَعْرِضْنَاهُمْ أجمعين ﴾ والأسف: الغضب المشوب بحزن وكدر... فاستعير ﴿ آسَفُونَا ﴾ لمعنى عصونا للمشابهة... فيؤول المعنى إلى أن الله عاملهم كما يعامل السيد المأسوف عبدا أسفه فلم يترك لرحمة سيده مسلكا<sup>4</sup>.

1- سورة الزخرف: 46-50

2- سورة الأعراف: 130

3- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج19، ص 57-64.

4- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج 25، ص 225 - 234.

### ثالثاً: العذاب المحيط والرجوع إلى الفطرة

رسالة من صديق يأتي بها ساعي البريد ويضعها في صندوق البريد، لكن رسالة رسمية من المحكمة مثلاً لأمر مصيري ذي خطورة، لا تسلم لصاحبها حتى يضع خطاً يده إقامة للحجة.

عندما يشتد الضر على الإنسان، مسلم أو كافر، وتضيق به السبل، ولا يجد المنفذ، ويرى الهلاك محتوماً يلتجئ إلى ربه ويخلص الدعاء والإنابة، وهذا مفطور عليه كل البشر، ومن أشد من فرعون في طغيانه.

والناس اليوم يشهدون ذلك عياناً في ما يحصل في الكوارث، والزلازل والفيضانات، وفي حوادث النقل في البر والبحر والجو، وفي الأوبئة والأمراض الخطيرة التي تفتك بالجماعات، وفي حياة الفرع والخوف، من شر محقق مثل ما يقع في الفتن الطائفية.

هنا الإنسان مع خضوعه لصاحب الأمر، يقدم الدعاء والرجاء، ومع ذلك فهو يقدم العهود القلبية واللسانية لله سبحانه تعالى. فليعلم الإنسان أنّ في هذه العهود توقيعا منه أنه قد تلقى الرسالة، وقد أُعذر وأقيمت عليه الحجة فليتحمل تبعات تصرفاته المستقبلية.

والواقع ودلالة الآيات أن أغلب هؤلاء لا يوفون بعهودهم، وسريعا ما يعودون إلى عوائدهم المنكرة، وينسون الآيات التي شاهدوها، ويتكبرون لتلك العهود. ومصير هؤلاء إما إعادة الكرة معهم إن كان فيهم بقية من خير، أو الطمس على قلوبهم والعياذ بالله، ولا يكون بعد هذا الأمر إلا الإهلاك والاستئصال من الأصول أو الاستدراج لحين العذاب، يقول الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾<sup>1</sup>. قليل منهم من ينفعه هذا الضر المحيط، ويثبت على عهده، ويحافظ على فطرته، فتفتح له أبواب رحمة الله، ومن أشهر القصص المعاصرة والتي تجمع هذه الوقائع قصة يوسف إسلام ودخوله الإسلام.

يقول الله سبحانه تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَأَنْجِبَنَّكُمْ مِنْ هَذِهِ لَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ (64) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ

1- سورة الأعراف: 46.

عَدَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿١﴾

يقول الامام الفخر الرازي: « والمقصود أن عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى، وهذا الرجوع يحصل ظاهرا وباطنا، لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله تعالى، وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله تعالى، وهو المراد من قوله: ﴿ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً ﴾ فبين تعالى أنه إذا شهدت الفطرة السليمة والخلقة الأصلية في هذه الحالة بأنه لا ملجأ إلا إلى الله ولا تعويل إلا على فضل الله، وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات، لكنه ليس كذلك، فإن الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة، يُحيل تلك السلامة إلى الأسباب الجسمانية، ويقدم على الشرك... وأنا أقول التعلق بشيء مما سوى الله في طريق العبودية يقرب من أن يكون تعلقا بالوثن.

ونظير هذه الآية ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا ۗ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۗ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾<sup>2</sup>، وقوله: ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>3</sup>. وبالجملة فعادة أكثر الخلق ذلك، إذا شاهدوا الأمر الهائل أخلصوا، وإذا انتقلوا إلى الأمن أشركوا به<sup>4</sup>.

يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ وَقَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۗ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>5</sup>

1- سورة الأنعام: 63 - 65

2- سورة الإسراء: 67

3- سورة يونس: 22

4- تفسير الفخر الرازي، ج13، ص 22-23.

5- سورة يونس: 22-23

« (عندما) يغلب على ظنونهم أن الهلاك واقع، وأن النجاة ليست متوقعة... يصير منقطع الطمع عن جميع الخلق، ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعا إلى الله تعالى، ثم إذا نجّاه الله تعالى من هذه البليّة العظيمة، ففي الحال ينسى تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة »<sup>1</sup>.

وهكذا طبيعة الإنسان الجحودة لا تقي بالعهود مع الله لضعف إيمانها بالغيب، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لَكُثْرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: مقصد الإهلاك

كثيرة جدا تلك الآيات القرآنية التي تتحدث عن هلاك الأمم الكافرة، وعند تتبعها ومحاولة العيش معها وإسقاطها على واقعنا ندرك ثقل الرسالة التي يحملها المسلم اتجاه غيره من غير المسلمين، ويكبر في نظري الذين سبلوا أعمارهم لإبلاغ هذه الآيات... ولكن هل لنا نحن المسلمين نصيب من هذه الآيات الموجهة إلى الكفار؟.

بالنظر إلى أعمال المسلمين أو المنتسبين إلى الإسلام نجد أن كثيرا من الوعيد يخصهم.

ومن أكثر الأمور البارزة التي كانت سببا في إهلاك الأمم السالفة: الكفر والظلم الطغيان، والاستكبار عن آيات الله، والترف...، وسنتناول هذا الأخير أنموذجا لهذا المطلب.

#### أولا: الهلاك بسبب الترف - أنموذجا -

سمة هذا العصر إمتاع النفس، هذا مبدأ يُغرس في عقول أولادنا من خلال البيئة المحيطة به وخاصة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، فيكبر في نفسه هذا المعنى، وحبّ متاع الحياة الدنيا فطرة في الإنسان، لكن تضخيم هذا المعنى، وطغيانه على حساب الأهداف التي خلق الإنسان من أجلها، هو طريق الهلاك.

ترى في مجتمعنا بعض الأسر التي بسط الله لها في الرزق، كلّ همها في هذه الحياة، وشغلها الشاغل التكاثر في الأموال، والمفاخرة بالدور والقصور، والمباهاة بالجاه والمناصب، غايتها إشباع الرغبات، والاستمتاع بالشهوات، ما أمكن، وصرف الأموال الطائلة في الملاهي السياحية العالمية

1- تفسير الفخر الرازي، ج14، ص70

2- سورة الأعراف: 102.

الباهظة، ولا يباليون بما في تلك النوادي من فحشاء ومنكر، ومظاهر تسخط ربّ العباد... قد ماتت منهم القلوب، وتبدّلت فيهم حاسة الاستشعار. لا همّ لهم إلا الترف والاستمتاع بزينة الحياة، لا يحملون قيما ولا رسالة. هذا شأن هؤلاء حتّى يفاجئهم العقاب بغتة ولا يُنظرهم لحظة.

ومن السلوكات العادية في بعض الدول الإسلامية إنجاز مشاريع سياحية ضخمة فاخرة دعما للاقتصاد، لا يراعى فيها حقّ الشرع، ولا يبالي فيها برضوان الله ولا بسخطه فإذا ما حلت بهم الكوارث وعمّهم البلاء، استكروا ما حلّ بهم، وقالوا أتى هذا ونحن نصلي ونزكي ونصوم؟ ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، ولكن لا تشعرون.

ولقد صرّحت بعض الآيات، بهذا السلوك المهلك، سبيل المترفين والذي لا يأبه به كثير من الناس كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (116) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ ﴿ 1.

يقول الإمام ابن عاشور: « والمعنى: فهلا كان في تلك الأمم أصحاب بقية من خير فنهوا قومهم عن الفساد لما حلّ بهم ما حلّ، وذلك إرشاد إلى وجوب النهي عن المنكر... فنهيم يردعهم عن الاستهتار في المعاصي، فتصلح أحوالهم، فلا يحق عليهم الوهن والانحلال كما حلّ ببني إسرائيل حين عدموا من بينهاهم.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ بيان للقليل، لأن الذين أنجاهم الله من القرون هو القليل الذين ينهون عن الفساد وهم أتباع الرسل.

﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ ... وفي الآية عبرة وموعظة للعصاة من المسلمين لأنهم لا يخلون من ظلم أنفسهم واتباع ما أترفوا فيه: هو الانقطاع له والاقبال عليه اقبال المتبع على متبوعه، وأترفوا: أعطوا الترف وهو السعة والنعيم، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾

1- سورة هود: 116-117. القرون: الأمم . بقية الناس: سادتهم وأهل الفضل منهم . الفساد: المعاصي واختلال الأحوال. تفسير التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ج2، ص 183.

فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴿١...٢﴾ فالمترفون هم الخطر على سلامة القرية، وهم صمّام أمانها، ففسقهم إيذان بخرابها.

### ثانيا: لا يكون الإهلاك إلا بعد الإنذار

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>3</sup>.

ويقول سبحانه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتَّبِعُونَ آيَاتِي وَيُذَرُونَكُم لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾<sup>4</sup>.

يقول القرطبي في تفسير الآية الأولى: «أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد الإرسال إليهم والإنذار. وقالت فرقة: هذا عام في الدنيا والآخرة»<sup>5</sup>؛ «والعذاب هنا عذاب الدنيا بقرينة السياق، وقرينة عطف ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ وهذا استقصاء في الإعداء لأهل الضلال»<sup>6</sup>.

### ثالثا: في الأمم السالفة غالباً الإنذار يعقبه الإهلاك:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْبَةً أَمِنْتَ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>7</sup>.

1- سورة الإسراء: 16

2- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 12، ص 182-186

3- سورة الإسراء: 15 .

4- سورة الأنعام: 130-131.

5- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج 13، ص 43.

6- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 15، ص 51.

7- سورة يونس: 96-98.

« مفهوم معنى الآية نفي إيمان أهل القرى، ثم استثنى قوم يونس، فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع، وهو بحسب المعنى متصل، لأن تقديره ما آمن من أهل القرى إلا قوم يونس ».<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: تسلسل: إنذار، استدراج، ثم إهلاك

قد نتساءل عن سبب تتعم الكفار بالرخاء والأمن؛ بينما المسلمون في شدة وخوف، ولذلك أسباب عديدة موضوعية تجري وفق سنن ربانية لا دخل فيها للصدفة ولا للعبثية. إلى جانب أسباب أخرى يغفل عنها كثير منا، منها سنة الاستدراج. والتي نقف عندها في هذا المطلب.

**الاستدراج في اللغة:** من الفعل درج: مشى شيئاً فشيئاً متدرجاً. وفي القرآن « ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾»<sup>2</sup>

معناه نأخذهم درجة درجة، وذلك إندائهم من الشيء شيئاً فشيئاً»<sup>3</sup>. وقيل: «سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم»<sup>4</sup>.

والاستدراج قد يعقبه عذاب الهلاك في الدنيا مثل ما حصل مع قوم فرعون، وذلك عندما يُجمع إلى كفرهم وفسوقهم الطغيان وظلم الآخرين، وقد ينتهي الاستدراج بالموت دون عذاب الهلاك.

يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ ۗ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾<sup>5</sup>.

« ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد، من حيث أنه في الظاهر إحسان، وفي الحقيقة خذلان »<sup>6</sup>.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ

جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

1- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج11، ص53.

2- سورة الأعراف 182.

3- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الامام الراغب الأصفهاني، ص 188.

4- الكشاف، الإمام جار الله الزمخشري، ج2، ص 535

5- سورة الأعراف 182-183

6- الكشاف، الإمام جار الله الزمخشري، ج2، ص 536

أَبْوَابِ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

نلاحظ في هذه الآيات مراحل التبليغ والإمهال، وسنن الأخذ والاستئصال: إرسال الرسل، الإنذار بعذاب أدنى لعلهم يتضرعون ويرجعون، لكنهم تماردوا ونسوا ما ذكروا به فجاء الاستدراج، ليفاجأوا أخيرا بعذاب الهلاك الذي كان فيه استئصالهم.

« ﴿فَلَوْلَا إِذِ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ معناه التضرع كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذا جاءهم بأسنا، ولكنه جاء بـ (لولا) ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم، وقسوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من البأساء والضراء، أي تركوا الاعتاض له، ولم ينفع فيهم، ولم يزرهم ﴿فَتَحْنَأُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الصحة والسعة و صنوف النعمة «<sup>2</sup>.

« ولكن هل يمكن أن تكون النعم التي يتمتع بها المسلم الصادق في إسلامه ثمرة استدراج هي الأخرى؟

والجواب أن هذا ممكن، ولكن متى تكون فضلا من الله وإكراما، ومتى تكون نقمة واستدراجا، أجاب النبي ﷺ عن ذلك عندما قال: ((إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج))<sup>3</sup> «<sup>4</sup>.

والمؤمن عند فهمه سنة الاستدراج يشوبه الخوف من الوقوع فيها، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم، فيدفعه هذا إلى دوام شكر النعمة، والابتعاد عن المعصية، ولكن الإنسان من طبيعته الضعف والتقصير، « والفاصل بين المقصر والمستدرج خيط دقيق جدا »<sup>5</sup>.

1- سورة الأنعام 42-45

2- الكشاف، الإمام جار الله الزمخشري، ج2، ص 346

3- مسند أحمد بن حنبل، الامام أحمد بن حنبل، من حديث عقبة بن عامر، رقم الحديث: 16973، ص 4251.

4- من سنن الله في عبادته، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص 122.

5- السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، ص 235.

### خلاصة الفصل:

في هذا الفصل تنبيه لرسائل الله المكنونة في الابتلاء بالضرّ، وهي رسائل ذات نفع عظيم للإنسانية جمعاء، وقد صنفها حسب القرب والبعد من الله إلى ثلاثة أنواع، وذلك بالرغم من تقاطعاتها، ونجد هذا التقاطع عند تماس حدود النوع الأول مع الثاني، وعند تماس حدود النوع الثاني مع الثالث؛ وهي:

1- **مقصد التنبيه:** خاص بعباد الله المقربين، وهو مقصد خفي يصعب ضبطه، وقد يحس به من كان في الدرب سائر، وغالبا ما يُعزى إلى مقصد التطهير أو التكريم، لكن في هذا المقصد من الضرّ تنبيه لشحذ الهمم في سبيل إدراك المعالي.

2- **مقصد التذكير وربما الإنذار:** وهذا يخصنا نحن عامة المسلمين، وهو مقصد عظيم الفائدة، فكثير ما يكون المسلم مقيما على معصيته مستهينا بها، ومُتغافلا عنها، وربما تكون سببا لخسرانه فيأتي التذكير بالضرّ إن لم يفلح الواعظ.

3- **مقصد الإنذار:** أما إنذار الكفار وحتى المسرف في المعاصي من المسلمين، فيأتي الضرّ بقصد الإعذار وإقامة الحجة عليهم، ولعلمهم يرجعون، فإن لم يرتدعوا جاء إهلاكهم أو إمهالهم ليوم المعاد.

# الخاتمة

## الخاتمة

في ختام هذا البحث أخلص إلى منهج للتفكير، لكل من أصابه شيء من الضرر، علّه يستفيد من مصيبتته. ونجمله في النقاط التالية:

1. الله عادل لا يظلم الناس مثقال ذرة، والناس عنده سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى.
2. مهما كان في الضرر من ألم ونفور فإنه لا يخلو من فوائد كبيرة لمن استطاع اغتنامها.
3. الابتلاء بالضرر من سنن الله في خلقه، وعلى المسلم أن يهيئ نفسه لاستقبالها، وهذا لا يعارض طلبه للعافية.
4. وراء كل مصيبة حكمة ومقصد، سواء أدرك الإنسان وجه الحكمة أم خفي عليه.
5. المقاصد من الابتلاء بالضرر يمكن تصنيفها إلى ثلاثة محاور في كل منها خير كثير، وهي:
  - محور عدالة الله في تصرفه في خلقه، ولا يُدرك هذا المقصد إلا بفهم الأسئلة المصيرية، وهي: ما حقيقة الحياة الدنيا؟ وما غاية وجود الإنسان في هذا الكون؟، وما هو مصيره بعد الموت؟. والعلم بهذه الحقائق لا يكون إلا بالوحي الإلهي. والأمراض والمصائب التي يصاب بها الإنسان قد تكون جزاء لسوء أعماله أو اعتقاده، وقد تكون عقابا وفاقا لظلم الحقه بغيره.
  - محور ابتلاء المؤمنين قصد الاختبار للتمييز أو قصد التطهير وتكفير الذنوب أو قصد التكريم بالمراتب والدرجات.
  - محور التنبيه إلى الخطأ أو التذكير بالذنب أو الإنذار قصد الإعدار.
6. من شأن المسلم أن يتساءل عند تعرضه للمصيبة، أهى عقوبة أم تنبيه ؟ أم ابتلاء للارتقاء؟ المقصد أو الحكمة من إصابته بهذا الضرر. والأولى بالمؤمن أن يرجح أنه إنما ابتلي بها لمعصية ارتكبها أو لتقصير بدر منه، فذلك أدعى أن يقوده إلى التوبة والاستغفار.. أيا كان شأنه وأيا كانت منزلته.

قائمة  
المصادر  
والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)

❖ الكتب:

- (1) الاجتهاد المقاصدي (من التصور الأصولي إلى التنزيل العملي)، د. جاسر عودة، طباعة الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2013.
- (2) تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د.ط - د.ت).
- (3) تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، راجعه وأخرج أحاديثه أ.د. أحمد عمر هاشم، دار أخبار اليوم- مصر، ط 1، 1991م
- (4) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر- القاهرة، ط 1، 1422هـ-2001م.
- (5) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (544-604هـ)، دار الفكر- دمشق، ط 1، 1401هـ-1981م.
- (6) تفسير القرآن العظيم، الإمام عماد الدين ابي الفداء إسماعيل عمر ابن كثير الدمشقي، علق عليه: محمد حسنين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1419هـ-1998م.
- (7) تفسير القرآن، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي (581-660هـ)، حققه د. عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهبي، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط 1، 1416هـ-1996م.
- (8) التفسير القيم للإمام ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (691-751هـ)، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، (د.ط - د.ت).
- (9) تفسير المنار، الإمام محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط 2، 1366هـ-1947م.

- (10) تهذيب مدارج السالكين، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (691-751هـ)، تهذيب عبد المنعم صالح العلي العربي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 5، 1416هـ-1996م.
- (11) جامع الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت 256هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط 1، (د.ت.)،
- (12) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1427هـ-2006م.
- (13) جواهر القرآن، الإمام أبي حامد الغزالي (م 505 هـ)، تحقيق د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 2، 1406هـ-1986م.
- (14) الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، حققه: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 6، صفر 1423هـ.
- (15) الدرر السنية في المواعظ الكيلانية، تأليف السيد محمد سيف الدين الكيلاني، مطبعة مهران، استنبول، (د.ط - د.ت).
- (16) الدعاء، الإمام سليمان بن أحمد الطبراني (ت 360هـ)، تحقيق محمد سعيد النجاري، ومصطفى عبد القادر عطاء، باب الدعاء عند الكرب والشدائد، رقم الحديث: 959، دار البشائر الإسلامية/ دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، (د.ت)، ص 333.
- (17) رفع الباس عن حديث النفس والههم والوسواس، الإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي إبراهيم صالح بن قايد الوادعي، دار الحرمين- القاهرة، ط 1، 1416هـ-1995م
- (18) زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط - د.ت).
- (19) سنن أبي داود، الامام أبو داود السجستاني (ت 275هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، باب الأمراض المكفرة للذنوب، رقم الحديث: 2687، دار الفكر - دمشق، ط 1، (د.ت).
- (20) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1413 هـ-1993م.

- (21) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (691-751هـ)، تخريج مصطفى أبو النصر شلبي، مكتبة السوادي للتوزيع- جدة، ط 1، 1412هـ-1991م.
- (22) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، شرحه الإمام أبو زكرياء يحيى محي الدين بن شرف النووي الشافعي، مؤسسة قرطبة، ط 2، 1414هـ-1994م.
- (23) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773-852هـ)، تخريج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار السلام، ط 1، 1421هـ-2000م.
- (24) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة، ط 4، 1428هـ-2007م.
- (25) الفروق في اللغة، الإمام أبو هلال العسكري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط 7، 1411هـ-1991م.
- (26) الفروق للإمام القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس المصري المالكي (626-684هـ)، تحقيق: عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 1، 1424هـ-2003م، ج 1، ص 278-279.
- (27) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، طبعة 10، 1991.
- (28) الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، ط 1، 1999، ص 13.
- (29) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، الإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت 660هـ)، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، 1411هـ-1991م.
- (30) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467-538هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان- الرياض، ط 1، 1418هـ-1998م.

- (31) كليات رسائل النور 3 للمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، دار سوزلر للنشر، تركيا، (د.ط - د.ت).
- (32) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، (د.ط - د.ت).
- (33) مختصر دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، إعداد المختصر محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، الاسكندرية-مصر، ط 1، 1417هـ-1996م.
- (34) المستدرک علی الصحیحین الإمام الحاکم النیسابوری (ت 405هـ)، دار الکتب العلمیة - بیروت، ط 1، (د.ت).
- (35) مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث 65، ص 21، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط 1، (د.ت).
- (36) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الإمام أبي القاسم الحسين محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت 503هـ)، ضبط إبراهيم شمس الدين، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط 4، 1434هـ - 2013م.
- (37) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علاء الفاسي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 5، 1993.
- (38) مقاصد الشريعة الإسلامية، الإمام الطاهر بن عاشور، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1421هـ - 2001م.
- (39) مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني، دار الهادي للطباعة والنشر - بيروت، ط 1، 1421هـ - 2001م، ص 147.
- (40) مقاصد الشريعة، محمد مهدي شمس الدين، محمد حسين فضل الله، طه جابر العلواني، محمد حسن الأمين، حسن الترابي، أحمد الريسوني، عبد الهادي الفضلي، جمال الدين عطية، تحرير وحوار عبد الجبار الرفاعي، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، ط 1، شوال 1422هـ - 2002م.

- 41) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم- بيروت، ط 1، 1429هـ-2008م،
- 42) مقاصد المقاصد الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، د. أحمد الريسوني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر - بيروت، ط 1، 2013.
- 43) من سنن الله في عباده، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، (د.ط - د.ت).
- 44) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - دمشق، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط 3، 1421هـ-2000م.

#### ❖ الرسائل والأطروحات:

- 45) الابتلاء في القرآن الكريم، محمد بن عبد العزيز لحمادي الرحالي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة، إشراف د. سمير عبد العزيز، شيلوي، جامعة أم القرى - السعودية، 1408هـ-1988م.
- 46) الإنذار في القرآن الكريم، رسالة لنيل درجة الماجستير، الأستاذ، أدهم عمر عباس بن خرشة، نابلس فلسطين، 2012.

#### ❖ المقالات والدوريات:

- 47) دور الاستقراء في إثبات مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور، نشوان عبده خالد قائد، مجلة مجمع، العدد 4، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ص 5-6.
- 48) مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم، د. نصار أسعد نصار، كلية الشريعة، جامعة دمشق، بحث نشره في مجلة جامعة دمشق، المجلد 20، العدد الأول، 2004.
- 49) Etre psychologue en soins palliatifs; maintenir une pensée cohérente malgré la polyvalence des fonctions. Daniel Le Boul, maître de conférence, directrice du département de sciences humaines et sociales, faculté de médecine et de science de la sante, Brest. Médecine palliative Elsevier 04 déc. 2007
- 50) Les professionnels de réanimation à l'épreuve de la relation avec le patient. Laurent A et autres. L'évolution psychiatrique, volume 80 issue 4, oct-déc 2015. Elsevier.

# الفهارس

- فهرس الآيات المعتمدة
- فهرس الأحاديث المعتمدة
- فهرس المحتويات

## فهرس الآيات المعتمدة

الرقم	جزء من الآية	رقمها	السورة	الصفحة
1.	هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ...	30	يونس	8
2.	وَبَلَّوْنَا هُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ...	168	الأعراف	9
3.	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ	89	النحل	13
4.	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبِيْنَ مَا خَلَقْنَاهُمَا...	39-38	الدخان	16
5.	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ	115	المؤمنون	16
6.	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ	179	آل عمران	17
7.	فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ	45	هود	17
8.	فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ	46	هود	17
9.	قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ...	47	هود	17
10.	مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ...	23-22	الحديد	18
11.	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا	286	البقرة	18
12.	وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ...	24	الجاتية	19
13.	بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	105	المائدة	20
14.	بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ	39	الأعراف	20
15.	بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكَ	10	الحج	20
16.	فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى...	-123 124	طه	22
17.	وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ...	64	العنكبوت	23

23	النساء	77	18. قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا
23	الأعراف	32	19. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ...
24	النحل	97	20. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ...
24	النحل	30	21. لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ...
25	الفتح	23	22. سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا
25	يس	39-38	23. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ...
25	الأنعام	96	24. فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا...
27	التغابن	11	25. مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...
28	ص	14	26. فَحَقَّ عِقَابٌ
29	الأعراف	128	27. وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
28	الروم	10	28. ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ
28	الأنعام	160	29. مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ...
28	الأعراف	95	30. ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ
29	النساء	14	31. وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
29	آل عمران	11	32. فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
29	آل عمران	-137 138	33. قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ...
29	المائدة	100	34. قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
30	الأعراف	58	35. وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا
30	ص	28	36. أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ...
30	الجاثية	21	37. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ...
30	البقرة	201	38. وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ...
30	البقرة	85	39. فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...

31	الطلاق	03-02	وَمَنْ يَبْقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ	.40
31	النحل	112	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ...	.41
31	الحج	38	إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا	.42
31	النور	55	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ...	.43
31	الحديد	28	وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ	.44
31	البقرة	10	فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا	.45
32	البقرة	193	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	.46
32	آل عمران	31	فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ	.47
32	المائدة	64	لَا يُحِبُّ الْمُسْئِدِينَ	.48
32	النحل	23	لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ	.49
32	آل عمران	185	وَأِنَّمَا تُوقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	.50
34	النساء	123	مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ	.51
34	طه	82	وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى	.52
34	الشورى	30	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ	.53
34	النساء	48	وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ	.54
35	الكهف	42	وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ...	.55
35	سبا	17-15	بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ...	.56
36	النحل	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ	.57
36	الشورى	40	إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ	.58
38	الأنعام	47	هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ	.59
38	يونس	13	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا	.60
38	هود	117	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ	.61

39	يونس	90	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا	.62
40	الشورى	43-39	وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ...	.63
44	البقرة	177	لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ...	.64
45	الكهف	7	إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا	.65
45	هود	7	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...	.66
45	الملك	02-01	تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ...	.67
46	المائدة	48	لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ...	.68
46	الأنعام	165	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ...	.69
47	الذاريات	56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	.70
47-48	الأنبياء	35	وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً	.71
49	التوبة	80-75	وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ...	.72
49	الأعراف	175	وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ...	.73
50	البقرة	40	وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ	.74
50	النحل	18	وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا	.75
50	الأعراف	17	وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ	.76
51	البقرة	216	وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا ...	.77
51	الفجر	16-15	فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ...	.78
53	الفاطحة	5	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	.79
54	العنكبوت	03-01	الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ...	.80
54	آل عمران	179	مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ...	.81
55	البقرة	214	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ...	.82
55	الأنفال	37	لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ...	.83

55	آل عمران	-166 167	84. وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذِنِ اللَّهُ...
56	آل عمران	142	85. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ...
56	التوبة	16	86. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ...
56	التوبة	43	87. عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ...
57	البقرة	143	88. وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ ...
57	الكهف	5	89. كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
58	البقرة	249	90. فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
58	البقرة	249	91. فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
59	التوبة	47	92. لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَافَكُمْ...
59	يوسف	110	93. حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ...
60	الحج	13-11	94. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ...
61	النساء	77	95. وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ...
61	الأحزاب	12-11	96. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ...
62	آل عمران	154	97. وَطَائِفَةٌ قَدْ أَمَمَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ...
62	الأحزاب	13	98. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا...
62	آل عمران	167	99. وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا...
63	التوبة	49	100. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا...
63	الأحزاب	23	101. مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ...
64	الواقعة	79	102. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ
64	النساء	31	103. نَكَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
65	التوبة	103	104. خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ
65	النور	30	105. قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...

65	البقرة	232	106. فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ...
65	محمد	2	107. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ...
65	التغابن	9	108. وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
65	الطلاق	5	109. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
65	المائدة	65	110. وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ...
66	آل عمران	195	111. فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي ...
66	النساء	31	112. إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...
66	آل عمران	154	113. وَلِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ...
66	آل عمران	141	114. وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ
66	النساء	123	115. لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۚ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَ بِهِ
68	النساء	31	116. إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...
69	النساء	10	117. إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا...
70	البقرة	-155 157	118. وَلَنْبَلُوتَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ...
70	الأنبياء	73	119. وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا
70	الزمر	10	120. إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ
70	البقرة	157	121. أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ
71	آل عمران	140	122. إِنْ يَمَسُّكُمْ فَزْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَزْحٌ مِّثْلُهُ...
72	البقرة	124	123. وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
72	الصفات	-104 106	124. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۗ...
72	النجم	37	125. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ
73	النحل	123	126. ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

73	البقرة	130	127. وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ
73	الأنبياء	84-83	128. وَيُؤَيَّبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ...
74	ص	44	129. إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ
74	البقرة	178	130. الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
75	مريم	93	131. إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا
75	ص	41	132. وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ
75	الفرقان	1	133. نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ
75	القصص	70-68	134. وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ...
76	الزمر	8	135. وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ...
76	يونس	12	136. وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ...
77	آل عمران	-140 142	137. إِنْ يَمَسُّكُمْ فَزَعٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَزَعٌ مِثْلُهُ ...
77	الأعراف	163	138. كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
78	المائدة	94	139. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصِّدْقِ ...
78	الأحزاب	30	140. يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ
79	الحجرات	7	141. وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ
79	النحل	97	142. فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً
79	الأحزاب	46-45	143. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ...
79	طه	03-01	144. طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ...
80	الأنعام	82	145. أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ
84	آل عمران	175	146. وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
84	المائدة	7	147. وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

84	البقرة	40	148. وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ
85	الصفات	-139 144	149. وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ...
85	الأنبياء	88-87	150. وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ...
85	القلم	48	151. فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ
86	الحج	78	152. وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ
86	الأنعام	122	153. أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
86	السجدة	24	154. وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا...
86	آل عمران	28	155. وَيَحذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ
87	آل عمران	30	156. وَيَحذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَيَحذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ...
90	التوبة	126	157. أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ...
91	القلم	32-17	158. إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ...
92	آل عمران	135	159. وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ
92	الحج	25	160. وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
92	الحج	35	161. وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ
93	التوبة	24	162. قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ...
94	البقرة	-278 279	163. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا...
96	النساء	165	164. رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ...
96	الكهف	56	165. وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...
97	الأعراف	168	166. وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِمَّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ...
98	الإسراء	15	167. وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا
98	السجدة	22-21	168. وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ...

99	الأعراف	95-94	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ ...	169.
100	الزخرف	50-46	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ ...	170.
100	الأعراف	130	وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ النَّمْرَاتِ	171.
101	الأعراف	46	سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْأَرْضِ ...	172.
102	الأنعام	65-63	قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...	173.
102	الإسراء	67	وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا ...	174.
102	يونس	22	وَضَلُّوا أَنَّهُمْ أَحْبَبَ بِهِمْ ۚ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ...	175.
102	يونس	23-22	هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...	176.
103	الأعراف	102	وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ ۗ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ	177.
104	هود	-116 117	فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ ...	178.
105	الإسراء	16	وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ...	179.
105	الإسراء	15	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا	180.
105	الأنعام	-130 131	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ...	181.
105	يونس	98-96	إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ...	182.
106	الأعراف	-182 183	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ...	183.
107	الأنعام	45-42	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ ...	184.

## فهرس الأحاديث المعتمدة

الرقم	جزء من الحديث	الصفحة
1.	((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ ...))	26
2.	((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَّاتَهَا، ...))	27
3.	((...)) إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضِبَانَ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي، غَيْرَ أَنْ عَافَيْتَكَ أَوْسَعُ لِي ...))	28
4.	((فَإِنْ دَمَاعَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ...))	36
5.	((بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ...))	37
6.	((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يَعَجَلَ اللَّهُ لِمَالِكِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ ...))	37
7.	((...)) وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))	37
8.	((أَنَّ اللَّهَ لِيُحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يَحِبُّهُ كَمَا يَحْمِي أَحَدَكُمْ مَرِيضَهُ))	51
9.	((غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرُضُ، أَلَسْتَ تَتَصَبَّ، أَلَسْتَ تَحْزَنُ، ...))	67
10.	((قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فِي كُلِّ مَا يَصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النُّكْبَةُ يُنْكَبُهَا، وَالشُّوْكَةُ يُشَاكَهَا))	67
11.	((أَجَلٌ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَصِيبُهُ أذى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تُحَاتُّ وَرَقَ الشَّجَرِ))	67
12.	((مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنِ، حَتَّى الْهَمُّ يَهْمُهُ، ...))	67
13.	((الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، ...))	68
14.	((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ))	71
15.	((إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))	75
16.	((الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا ...))	78
17.	((إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار)) قيل يا رسول الله ...))	92
18.	((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ))	92
19.	((إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ ...))	107

## فهرس المحتويات

إهداء

شكر وتقدير

❖ المقدمة ..... أ

## الفصل التمهيدي

❖ المبحث الأول: تعريف المصطلحات ..... 7

المطلب الأول: المقاصد ..... 7

المطلب الثاني: الابتلاء ..... 8

المطلب الثالث: الضر ..... 10

❖ المبحث الثاني: موقع مقاصد الضر من مقاصد القرآن (تحرير الموضوع) ..... 12

المطلب الأول: تصنيف الإمام أبي حامد الغزالي ..... 12

المطلب الثاني: مقاصد القرآن عند الإمام ابن عاشور ..... 13

المطلب الثالث: مقاصد القرآن عند الدكتور العلواني ..... 13

المطلب الرابع: مقاصد العقائد ومقاصد الضر ..... 15

❖ المبحث الثالث: الفائدة من البحث في مقاصد الضر وحدود ذلك ..... 16

المطلب الأول: هل أفعال الله معللة ..... 16

المطلب الثاني: هل البحث عن مقاصد الضر مأذون به؟ وما حدود ذلك ..... 17

المطلب الثالث: الفائدة من البحث في مقاصد الضر ..... 18

المطلب الرابع: شبهة ودفعها ..... 19

## الفصل الأول

### العدالة الإلهية والمقصد من الضرّ

❖ المبحث الأول: عدله سبحانه وتعالى في الخلق والأمر والقضاء ..... 22

المطلب الأول: فهم المعادلات ..... 22

أولاً: حقيقة الحياة الدنيا ..... 23

ثانياً: الضر من سنن الله في خلقه ..... 25

ثالثاً: من ثمار الفهم: ..... 26

المطلب الثاني: الجزاء الإلهي في الحياة الدنيا ..... 28

أولاً: تعريفات ..... 28

ثانياً: لا يستوي الخبيث والطيب ..... 29

ثالثاً: تقرير الجزاء الإلهي في الحياة الدنيا ..... 30

رابعاً: الضرّ المترتب على سوء الأعمال ..... 32

خامساً: نماذج العقاب الدنيوي لمن تعدى على حرّامات الله ..... 35

1- العقاب الخاص: حرمان صاحب الجنّتين ..... 35

2- العقاب العام: حرمان أصحاب سبأ ..... 35

❖ المبحث الثاني: الضرّ وإقامة العدل بين العباد ..... 36

تعريفات ..... 36

المطلب الأول: النهي عن الظلم ..... 36

- 37 .....المطلب الثاني: الضرّ عقاب للظالم على مستوى الأفراد
- 38 .....المطلب الثالث: الضرّ عقاب للظالمين على مستوى الأمم والمجتمعات
- 41 .....❖ خلاصة الفصل

## الفصل الثاني

### مقصد ابتلاء المؤمنين بالضرّ

- 43 .....❖ المبحث الأول: الابتلاء مكانته وتصنيفه
- 44 .....المطلب الأول: مكانة الابتلاء في الشريعة الإسلامية
- 44 .....أولاً: الآيات الدالة على محورية الابتلاء
- 47 .....ثانياً: العلاقة بين الابتلاء والعبودية
- 48 .....المطلب الثاني: تصنيف الابتلاء
- 48 .....أولاً: تصنيف الابتلاء
- 50 .....ثانياً: اختصاص المؤمنين دون غيرهم بهذا النوع من الابتلاء
- 50 .....ثالثاً: الحكمة من تخصيص الضرّ للبعض والنعم للآخر
- 53 .....❖ المبحث الثاني: مقصد الاختبار والامتحان لغرض التمييز
- 53 .....المطلب الأول: تحديد مدلولات الاختبار والامتحان والتمييز
- 54 .....المطلب الثاني: الامتحان قصد التمييز سنة ربانية
- 57 .....المطلب الثالث: نماذج من الاختبار في القرآن الكريم
- 59 .....المطلب الرابع: من أحوال المختبرين

64	المبحث الثالث: مقصد التطهير والتركية وتكفير الذنوب .....
65	المطلب الأول: تقرير مقصد التطهر والتركية وتكفير الذنوب .....
66	المطلب الثاني: تقرير مقصد تكفير الذنوب والتطهير بالمصائب والضرّ .....
68	المطلب الثالث: شروط تكفير الذنوب .....
70	المبحث الرابع: الابتلاء بقصد الاجتباء والتكريم .....
70	المطلب الأول: تقرير مقصد التكريم بالابتلاء .....
70	أولاً: بشرى للصابرين على المصائب .....
71	ثانياً: سنة التداول واجتباء الشهداء .....
72	المطلب الثاني: نماذج من مقصد التكريم بالابتلاء .....
72	أولاً: سيدنا إبراهيم عليه السلام .....
73	ثانياً: سيدنا أيوب ومقصد العبدية .....
77	المطلب الثالث: تداخل المقاصد: .....
78	المطلب الرابع: العزوف عن الالتزام بالدين خوف الابتلاء بالضرّ .....
81	❖ خلاصة الفصل .....

## الفصل الثالث

### مقصد التنبيه والتذكير والانذار

83	❖ تمهيد: .....
85	❖ المبحث الأول: مقصد تنبيه عباد الله المقربين .....
85	المطلب الأول: نموذج ضرّ سيدنا يونس عليه السلام .....

- 86 .....المطلب الثاني: نموذج من الواقع
- 86 .....المطلب الثالث: الإمام ابن القيم وبلاء الانفصال
- 87 .....المطلب الرابع: الشيخ النورسي ولطامات الرأفة
- 88 .....المطلب الخامس: رأي علماء الأصول
- 90 ..... ❖ المبحث الثاني: مقصد تذكير المسلم العاصي وإنذاره، ونماذج لذلك
- 90 .....المطلب الأول: تقرير مقصد تذكير المسلم العاصي وإنذاره
- 90 .....المطلب الثاني: نموذج أصحاب الجنة
- 93 .....المطلب الثالث: نماذج من الواقع فيها التذكير والإنذار
- 96 ..... ❖ المبحث الثالث: مقصد إنذار وإهلاك الكفار
- 98 .....المطلب الأول: سنة العذاب الأدنى
- 98 .....أولا: تقرير سنة العذاب الأدنى
- 99 .....ثانيا: قوم فرعون نموذجا
- 101.....ثالثا: العذاب المحيط والرجوع إلى الفطرة
- 103.....المطلب الثاني: مقصد الإهلاك
- 103.....أولا: الهلاك بسبب الترف - أنموذجا -
- 105.....ثانيا: لا يكون الإهلاك إلا بعد الإنذار
- 105.....ثالثا: في الأمم السالفة غالبا الإنذار يعقبه الإهلاك
- 106.....المطلب الثالث: تسلسل: إنذار، استدراج، ثم إهلاك
- 108..... ❖ خلاصة الفصل

110.....	❖ الخاتمة
112.....	❖ قائمة المصادر والمراجع
117.....	❖ الفهارس
118.....	فهرس الآيات المعتمدة
127.....	فهرس الأحاديث المعتمدة
128.....	فهرس المحتويات

## ملخص

كل ما يحصل للإنسان من ضرر ومكروه، لا يأتي عبثاً أو على سبيل الحظ، وإنما من وراء ذلك مقاصد وحكمة لا متناهية، ونجد في القرآن الكريم ذكراً لكثير من تلك المقاصد، وهي تتلخص في هذا البحث في ثلاثة محاور:

- **أولاً:** مقصد تطبيق العدالة الإلهية والجزاء الإلهي في الحياة الدنيا، فيما يكون بين الله وعباده، وبالأخص فيما يكون بين العباد من ظلم وذلك لإقامة القصاص.
- **ثانياً:** مقصد يخص المسلمين الذين أعطوا العهد بالسمع والطاعة، فيكون من الابتلاء بالضرر ما فيه اختبار لهم لتمييزهم، ويكون قصد تطهيرهم وتكفير ذنوبهم، ويكون قصد تكريمهم.
- **ثالثاً:** مقصد إصلاح الإنسان، وذلك بالتنبيه أو التذكير أو الإنذار، ويكون ذلك حسب مرتبة الإنسان في الفساد أو الإصلاح.

## Summary

All what is happening to human from harmful and calamity, does not come from neither by vain nor by luck, in fact behind that there is very special purpose and wisdom, and in the holy Quran we found a lot of verses talking about these purposes. In this thesis I collect and classified them in three chapters:

- **First:** purpose of divine justice application and divine punishment in this life. Whatever is between God and mankind, especially injustice act between mankind to establish retribution.
- **Secondly:** Purpose concerning Muslims who gave the covenant hearing and obedience, so that is a matter of afflicting adversity to test them and be extinguished, purified, atone their sins and is intended to honor them.
- **Thirdly:** The purpose of human reform by alerting, reminding and warning. And that is according to rank of the person by his corruption and goodness.